

حوار كوني

لحظات ثورية في
ميدان التحرير

منى أباطة

الثورات العربية:
من هم الفاعلون؟

ساري حنفي

يوكاهاما:
ميناء الأمل

كويشي هازيغاوا

تحدي الكوسموبوليتانية

مؤتمر حول اللامساواة

اجتماع اللجنة التنفيذية في مكسيكو

بلا حدود

الاحتفال بالعيد العشرين للجمعية التركية لعلم الاجتماع

الجمعيات الوطنية في أوروبا

ركن التاريخ: مكسيكو 1982

حقوق الإنسان: مدان لكونه عالم اجتماع



المجلد الأول، العدد الرابع ، نيسان/أبريل

3

ترجمة منير السعيداني
تصميم إنسانيا الحاج

ISA



٢	الافتتاحية
٣	لحظات ثورية في ميدان التحرير
٦	الثورات العربية: من هم الفاعلون؟
٩	يوكاهاما: ميناء الأمل

مطارات

١٢	تحدي الكوسموبوليتانية
١٤	مؤتمر حول اللامساواة

اجتماعات وجمعيات

١٥	اجتماع اللجنة التنفيذية في مكسيكو
١٧	بلا حدود
١٨	الاحتفال بالعيد العشرين للجمعية التركية لعلم الاجتماع

الجمعيات الوطنية في أوروبا ١٩

أعمدة خاصة

٨	ركن التاريخ: مكسيكو 1982
٢٠	حقوق الإنسان: مدان لكونه عالم اجتماع



شهد العالم تغيرات هامة منذ العدد السابق ل حوار كوني . فاح ربيع القاهريين على كل أرجاء الكون. وأظهرت الانتفاضات العربية، التي لا يزال الحكم على إمكانية تسميتها ثورات مغلقة، مرة أخرى، العسر البالغ في التنبؤ بانفلاق الحركات الاجتماعية. نحن على فهم أفضل لكيفية انتشارها وتوسعها إذا ما أطلت برأسها.

وعليه فإن مقالينا الأولين يركزان على السيرة الثورية: تصف منى أباطة ما كان يحدث في ميدان التحرير وما جاورها خلال شباط/فيفري 2011، فيما يتفحص ساري حنفي ترابط الفاعلين الاجتماعيين المنخرطين في معركة التغيير الاجتماعي في تونس ومصر.

مقالنا الثالث يحملنا من الزلازل التي يحدثها الإنسان إلى ذلك الزلزال الأرضي الذي عصفت باليابان متسببا في حصول حادث نووي ضخم. كان عالم اجتماع البيئة كويشي هازيغاوا يتساءل طوال خمسة عشر عاما إن كان اليابان في حاجة إلى تشيرنوبيل ثانية حتى يغير من سياسته النووية. نحن لا نزال على عطشنا للجواب على هذا السؤال. ألقى الدكتور هازيغاوا، بوصفه رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر الدولي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع لسنة 2014 في يوكوهاما، خطابا مؤثرا على مسامع اللجنة التنفيذية خلال اجتماعها في مكسيكو تناول الرد الياباني على الزلزال والتسونامي نشره على أعمدة هذا العدد. وفيما يهيم اللجنة التنفيذية فقد عززت التزامها بإنجاح مؤتمر 2014.

نشر في هذا العدد أيضا تقارير عن مداوات اللجنة التنفيذية المجتمعة بين 21 و25 مارس وما وازاها في المؤتمر الدولي حول التفاوت الاجتماعي الذي نظمته راكل سوزا إليذاغا (Raquel Sosa Elizaga) نائبة الرئيس المكلفة بالبرامج. وكتبت جينيفر بلات (Jennifer Platt)

، ضمن اهتمامها التاريخي، مقالا حول المؤتمر الدولي الذي احتضنته مكسيكو سنة 1982. كانت تلك أول مناسبة تعقد فيها الجمعية الدولية لعلم الاجتماع مؤتمرها الدولي في بلد ما من "العالم الثالث" وكان قد افتتح جولة المطارات حول علم الاجتماع الدولي التي تتصل إلى اليوم. ففي هذا العدد مثلا، يتناول سوجوتا باتل مسألة علم الاجتماع الكوني والكوسموبوليتانية من منظور التقاليد الوطنية. وفي العدد أيضا تقارير وردت علينا من الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع والجمعية التركية لعلم الاجتماع وفرع الولايات المتحدة لعلماء اجتماع بلا حدود. وفي الأخير تجدون عمودا جديدا يهتم بحقوق الإنسان الخاصة بعلماء الاجتماع تجسدها حالتان واحدة من تركيا والأخرى من المجر.

يتواصل بلوغنا أمداء أكثر اتساعا. لدينا الآن صفحة واسعة الشعبية على الفيسبوك وكذا مظهر جديد لموقعنا الإلكتروني الذي يشتمل على قسم حول العوالم الإلكترونية. وبفضل مبادرات ساري حنفي ومنير السعيداني وإيشوار مودي نُقرأ الآن حوار كوني بالعربية والهندية بما يجعل لغاتها تسعا. علم الاجتماع في تقدم.

كانت تسرع نحوهم. عندها بدأت قوات البوليس بالتراجع خائفة ذلك أنه لم يكن بمقدورها أن تتعامل مع تلك الكتل الصماء من الأجساد المتزايدة وقد تحررت من خوفها. وهرب أفراد القوات هربا من الحشود الجيّارة المسالمة. وفجأة اختفى رجل البوليس، وعندها دخل الحيش المدينة بدباباته.

خيرا، قرر الكثيرون مثلي ممن لم يكونوا من الناشطين سياسيا والذين كانوا يخشون العنف المقترف بنية سحق المحتجين أن يسيروا إلى الميدان. ونزلت أمهات من المنتميات إلى الطبقات الوسطى إلى الشوارع، وشهد أبناء أصدقائي وبناتهم تحولات في حياتهم إذ كان هؤلاء الشباب الذين قادوا آباءهم وأمهاتهم إلى الشوارع يوالون الاحتجاج منذ اليوم الأول. وجدا ذواتهم الجديدة في حياة الميدان، وكان العديد منهم فخورين بما كانوا يكتشفونه لديهم من مهارات في نضالات الشارع. عندها استحوطت المسيرة المليونية إلى لحظة تاريخية أبهرت المصريين أنفسهم. كانت تلك ذروة في الانتشاء بالحرية المكتشفة للتو والتوق الجماعي للكرامة. تعجز كلماتي عن وصف تلك الطريقة التي تظاهر بها سلميا وفي نظام مليوننا شخص مسالم متجهين إلى الفضاء الرئيس: ميدان التحرير.

كان التنظيم مشهودا، وكان من الواضح أن إحساسا عاليا بضرورة حفظ النظام حاضر بقوة لدى المحتجين الشباب بحيث كانوا يدخلون الميدان ليتحركوا فيها بطريقة سلمية. كان ذلك هو أبرز ما يلاحظ، وكانوا الناس مُدهشين في حرصهم على ألا يخل الخطأ بأي شيء. كانت الساحة مطوقة بدبابات الجيش وبالجنود الذين كانوا يثبتون من الهويات حتى يتأكدوا من أن بلطجية النظام لا يدخلون وأن الأسلحة لا تُسرب لتستخدم داخل الميدان. عند نقاط التفتيش، كان يُميز بين الرجال والنساء بحيث تتيسر مراقبتهم من قبل "اللجان الشعبية" المتكونة من مجموعات من الشباب الذكور و الإناث من معارضي مبارك فائقي الانضباط. كانت المحافظ والحقائب تفتش وكانت السكاكين والمقصات وكل ما يمكن أن يكون خطرا من الأدوات تحجز. وبما أن البلطجية كانوا يمثلون خطرا لا يزال محققا فقد تعددت نقاط التفتيش وبذا كانت تلك الهندسة اليقظة للطريقة التي بها كان الناس يتحركون حوالي الميدان

مذبحة الثاني من شباط/فيفري:

سيظل الثاني من شباط/فيفري يوما تاريخيا عالقا بذاكرة ابنتي وذاكرتي. كان مبارك في الليلة السابقة قد ألقى خطابه من على شاشة التلفزيون في لهجة واضحة الوعيد والتهديد. أكد على أنه لن يرحل عن كرسيه، وكان الأمر يبدو كما لو كان حنقه سينقض على الأمة العاصية. ويوم الثاني من شباط/فيفري، بعد الثالثة بعد الظهر، ذهبنا إلى ميدان التحرير أنا وصديقتان لي وابنتي معولين على الالتقاء بأصدقاء آخرين وعازمين على المكوث هناك زمنا غير قصير. اقترحت صديقتي سامية أن نزرر صديقنا بيار الذي يملك شقتين جميلتين واسعتين في الطابقين التاسع والعاشر تشرفان على الساحة وعلى زوايا شارعها طلعت



3

لحظات ثورية في ميدان التحرير منى أباطة، الجامعة الأمريكية بالقاهرة

ملحوظا بعد الخامس والعشرين من جانفي. واتصلت المسيرات في عناد. ويوما بعد يوم احتل الناس مزيدا من شوارع القاهرة، وكانوا كلهم يتجهون إلى الميدان. كانت المدينة تنهار بفعل الهجمات على مراكز الشرطة، وكان الجلادون في كل مكان والنهب ينتشر في العديد من الأحياء. وكلما كانت قوات الشرطة تزيد من عنفها كان المحتجون يصيرون أكثر احتشادا في الشوارع. كانت مدن الإسكندرية والسويس وبورسعيد والمنصورة والمحلة الكبرى تشهد نفس التدفق البشري المكثف من المحتجين الغاضبين. وكان المتظاهرون في القاهرة ينطلقون من شبرا ومن مطرية ومن بُولاق ومن الدقي ومن المهندسين ومن مدينة نصر وهيلوبوليس ويسدون جسور 6 أكتوبر وقصر النيل الرئيسة. سجلت مصادمات عنيفة وكان الغضب ضد شراسة النظام يتصاعد مثله مثل الإصرار على الصمود. كان يقال إن الأمر لن يكون مثل ما كان عليه. تحرر المحتجون من الخوف وكانوا يقاومون عبر الاحتماء بالمتاريس والدعاء جماعة خلال لحظات مواجهة فرق البوليس السوداء واللقاء الحجارة عند تعرضهم للهجوم. لم يكونوا يرهبون شاحنات البوليس الخضراء عندما

صادف أن كنت القاهرة لدى حدوث المسيرة الزلزالية ليوم 25 شباط/فيفري. لم أكن قد شاركت في المسيرات الأولى، وكانت قد مرت سنوات عدة على انتهاء التزامي النشاط السياسي، وعلى الاعتراف أن العنف والعجرفة اللذان شوهدا في العديد من المسيرات السابقة كانا بالتأكيد أهم الأسباب التي أبعدتني عن الشارع. كانت الشرطة، منذ اليوم الأول، قاسية تجاه المتظاهرين واستعداد أصدقائي المشاركون في المسيرات أجواء العنف. ضرب المحتجون بالرصاص الحقيقي والهطاطي، وبالماء المرشوش وألقيت عليهم القنابل المسيلة للدموع بكثافة. كانت المدينة تحترق، وطلت أثار الغاز المسيل للدموع تلوث أجواءها لعدة أيام لاحقة. أعلن أن يوم 25 كانون الثاني/جانفي شهد وفاة ثلاثة أشخاص وجرح العديد الآخر منهم. شلّ مبارك حركة القطارات على امتداد كل البلاد ولكن تدابير المراقبة غير الذكية هذه لم تمنع الناس الغاضبين من التدفق على المدينة. وبالفعل فقد كان تكاثف الاحتشاد البشري في الشوارع

حرب وباب اللوق. وحوالي الرابعة بعد المغرب بدأت هجومات بلطجية النظام المسلحين الآتين من ناحية المتحف المصري. شاهدنا العديد من الجرحى بليغي الإصابة تحملهم مجموعات من الرجال يغادرون بهم مارين من نقاط المراقبة التي كان يحرسها المحتجون ودبابات الجيش. كان العديد منهم قد تلقوا طلقات في الرأس وفي العين. كانت "معركة الجمال" قد بدأت بعد. ولكن أفلح المحتجون في إيقاف البلطجية الذي دخلوا إلى الميدان على ظهور الجمال والخيول، وعندها خيبت صديقتاي العودة إلى جزيرة الزمالك حيث نطقن كلنا. ظلمت مع ابنتي إذ اعتقدت أن في عودتنا معا مشياً مخاطرة كبيرة. كنت قد أصبت بالفزع بعد أن شاهدت ذلك العدد الهائل من الجرحى.

حوالي الخامسة والنصف بعد المغرب وصل جمع غير من بلطجية النظام إلى مداخل الميدان آتين من شارع طلعت حرب. ألقوا قنابل كوكيتيل المولوتوف، وأطلقوا الرصاص الحي صوب المحتجين مشعلين النار في كل ما كان يعترضهم. كانوا يحرقون السيارات خاصة ثم يقبلونها على أسطحها، وكان من الممكن أن ترى رؤي العين أن دبابات الجيش لم تحرك ساكنا لتوقف عمليات الحرق أو لتكافح البلطجية. لم يكن بمستطاع المحتجين المعارضين لمبارك أن يدافعوا عن أنفسهم إلا بإقامة متاريس على نقاط المراقبة مستخدمين قطعاً من المعادن جلبوها من ورشة بناء نزل هيلتون السابق المعاد تجديده. كانت كل أسلحتهم هي ما يجمعونه من الحجارة ليلقوا بها. عمّت الفوضى الشوارع وتكاثرت أعداد الجرحى، وأعلن تلك الليلة عن موت أربع وعن جرح المئات. وعلى حد ما رأينا فقد كان من الواضح أن عددهم قد تجاوز الحد الذي أعلن عنه بكثير، وقد أمكن لحسن الحظ صدّ البلطجية بحيث فشلوا في الدخول إلى الميدان.

قضينا الليلة في شقة بيار. كان هو مشغولا بوضع المئات من الصور التي التقطها من شرقته على كل حسابات الفايسبوك المتوفرة. كان ذلك هو اليوم الأول الذي عاد فيه الربط بالإنترنت بعد خمسة أيام من منع استخدامها. كانت شقة بيار الأخاذة ذات الصلة بالزمن الجميل قد تحولت إلى ملجأ، وكانت بها العديد من الأسرّة والأغطية ملقاة على الأرضية.

كانت الشقتان المطلتان على الساحة قد تحولتا إلى مضافة لمن اتفق أن يأتي من الناس أو يذهب. كان هناك مراسلون فرنسيون وإيطاليون وأمريكان ومصريون ومصورون أيضا والعديد من الأمهات اللاتي كان أبناؤهن وبناتهن في الميدان والعديد من المتظاهرين الصغار والعجائز الذين احتموا بالشقة عندما ساءت الأمور في الأسفل. صادف أن كان عدد من المحتجين الذين التقينهم من قدامى طلابي في الجامعة الأمريكية، وكان يتناوبني الابتهاج والخشية عليهم إذ رأيتهم يتحولون إلى مناضلين ذوي تصميم. كانت إحدى أفضل طالباتي مرابطة في الميدان منذ أربعة أيام وكانت تبدو بالغة التعب، واكتشفت أن محتجين آخرين كانوا أبناء وبنات

أصدقائي، كما كان هناك أيضا أصدقاء لمحتجين لم يكونوا يعرفون أحدا ممن حوتهم الشقة ولكنهم كانوا على الرحب. وبما أن العنف احتد خلال تلك الليلة فقد ارتفع عدد المحتجين الملتحقين بالشقة (أقدر أننا كنا حوالي الخمسين أو ستين شخصا) وكان عدد قليل منهم مصابين في وجوههم وأيديهم وأرجلهم.

من غرفة أخرى، كان جهاز تلفزيون يرسل صوته عاليا من غير انقطاع، وكنا نداوم الدخول إليها والخروج منها فيما كان البعض يستلقي نائما قبالة الجهاز وقد أنهكه الإجهاد. كنا كلنا نحاول بشكل من الأشكال أن نراوح بين أمرين: نتردد بين الشرفات العريضة الثلاث لمتابعة ما كان يحدث في ميدان التحرير وشارعي طلعت حرب وباب اللوق المجانيين ونعود راكضين إلى الداخل حتى نتابع الأخبار على الشاشة بغية اكتشاف اتجاه هجوم البلطجية الموالي. كانت قناة الجزيرة هي النقطة المرجعية في تحديد ما كان يحدث فعلا خلف الميدان. لم يكن بوسعنا أن نشاهد الهجومات الآتية من المتحف الأثري، ولا مشاهدة البلطجية الذين كانوا يهاجمون المحتجين آتين من جسر 6 أكتوبر مسلحين بقنابل الزيت. ولكننا بالأحرى رأيناهم على الشاشة، كما شاهدنا عليها أيضا البلطجية وهم يضرمون النار في أشجار الميدان وهو ما أزعنا وخاصة حيال توقع حريق أكبر قد يطال بنايات المحيطة.

كانت شاشة التلفزيون هي دليلنا الوحيد في تحسس الخطر ولكن شعورا موحدا كان يحدو كل من كان في الشقة هو كرهنا لمبارك الذي لا حد له. كنا كلنا نفكر في نفس الشيء: تأتي مذبحة اليوم يوما واحدا بالضبط بعد رفض مبارك التنحي، وإذا ما استمر أسبوعا فإن الخسائر ستجاوز كل خيال. كان هوسه الجنوني بذاته من غير حد.

كانت لأغلبنا إن لم يكن لمجموعنا هواتفنا النقالة (كان الحظر أو الحجب على الهاتف النقال قد توقف)، وكانت كل الأمهات تخابرن أبناءهن وبناتهن في الميدان. كن يصفن ما يشاهدنه من صور على التلفزيون لمن كان هناك، وكانت البعض منهن يترجين من كانوا في الأسفل أن يصعدوا. وكان المراسلون يهاتفون زملاؤهم الذين كانوا يجوبون الشوارع أو كانوا ربما تاهوا على أثر المناوشات على الجانب الآخر من الميدان. ومن جهة أخرى كان الميدان يعج بالناس الذين واصلوا الجولان حول مركز الميدان طوال الليل وحتى بزوغ الفجر. كانت النساء والأطفال في خيام منصوبة في وسط الميدان، وكانت بعض مضخمت الصوت المنصوبة حذو جامع عمر مكرم تبت شعارات دينية فيما كانت أخرى تبت أغاني الستينات الوطنية.

عند نقطة ما، وفي وقت متأخر من الليل بدأ المحتجون بالضرب إيقاعيا على القطع المعدنية التي كانت بحوزتهم. وقد أظهرت تلك الأصوات إلى أي مدى كان المحتجون حسني التنظيم. كان المقصود من تلك الجلبة المعزوفة أن يبقوا متيقضين حيال أي اتجاه قد يصدر منه خطر. وكان هناك بعض الرنين القيامي في ذلك الضجيج وخاصة إذا ما أضفنا إليه هدير المروحيات المستمر فوق الرؤوس.

انتظرت مختلف الأمهات اللاتي أمضين الليلة في شقة بيار بناتهن وأبناءهن الذين كانوا في الميدان أن يصعدوا. وإذ كنا نتابع نتابع الأخبار حتى آخر الليل فقد كان العديد منا يبكون. كانت إحدى الأمهات ترجو ابنتها على الهاتف أن تكفّ عن الاحتجاج، والتصقّت بابنتي وتمنيتُ أن يكون ما نعيش قد ولى وانتهى.

عدوى:

في كتابتي لهذه الأفكار أصبحت ابنتي دليلي الرئيس في تذكر تتابع أحداث ليلة الثاني من شباط/فيفري. بدأ أنا الاثنتين نكابد نفس المشكلة، فقد عانينا كلانا من ضباب في الوعي لدى محاولتنا استدعاء ذاكرتنا. اقتنعنا أن ذلك يعود في الجزء الأهم منه إلى ضغط الوضعية والمراوحة المتصلة بين محاولتنا مشاهدة ما كان يحدث في الميدان ومتابعة الدفق المستمر لصور التلفزيون. وصفت ابنتي الليلة التي قضينا لدى بيار على أنها لحظة سيريلية. كان هناك شيء بيديهي: تمكنت صور التلفزيون الطاغية من احتلال فعلي لذاكرتنا بحيث شيأت الواقع.

لو كان أدربو وهوركهايمر شاهدين على دور الجزيرة في الثورة المصرية، لكانا بالتأكيد راجعا بنوءتهم الخاصة ب"الصناعة الثقافية" والأثر التثقيفي للتلفزيون. من الواضح أنه ما كان للثورة أن تحوز ذلك النجاح لو لم توجد القنوات التلفزيونية التي عرضت التباين الموهول بين الدعاية والواقع وتلك الأكاذيب المثيرة للسخرية لقناة الدولة. كانت القنوات التلفزية قد زادت في الأهمية عندما حضر النظام استخدام الفايسبوك والهواتف النقالة والإنترنت.

ستكون أجدات البحث الأكاديمي عامرة طوال السنوات القادمة بدراسة الدور غير المسبوق للجزيرة في صنع الثورات العربية، إذ كان انتصار الثورة الكبير هو انتصارها هي أيضا. لم يجهد الصحفيون أنفسهم في إخفاء ذاتيتهم ومناصرتهم للشارع. ولم يكن لحركتهم الماهرة وتوقعاتهم الذكية وتفتيش ونهب مكاتبهم وتصاعد صيد الساحرات الذي تعرضوا له إلا ليؤكد صورتهم البطولية.

فنت عدوى الروح الثورية التي سرت عبر تونس والجزائر ومصر واليمن والبحرين وليبيا وعمان العالم إذ أظهرت سلطة نقل الصورة وسرعتها عبر اتخاذ التلفزيون وسيطا. لقد كان من الواضح وجود قاسم مشترك في شعارات الاحتجاج ومطالبه التي انتشرت مثل نار عبر العالم العربي. لقد تنامت الانتفاضات العربية حول قضايا واسعة الانتشار: الكرامة والاعتراف والظلم والفساد المتفشى والاستبداد.

من المسلم به اشتها المصريين بخفة الدم ودعة سلوك وهو ما يسرّ لهذه الثورة النجاح في افتكاك إعجاب جمهور واسع في الغرب. لقد كانت بالتأكيد ثورة دموية ولكنها كانت أيضا ثورة حضارية. لم يكف المعلقون عن التردد مرة بعد أخرى أن الميدان أعاد ابتداء ذاته على صورة قطب مغناطيسي جاذب للثقافة المضادة

وللخيال الفني الشعبي ولما ابتدعه موسيقيون وراقصون ساخرون رائعون. وبلغت النكتة المصرية الساخرة الشهيرة وأكثر إبداعات الجمهور المرتجلة روعة ذروتها في الميدان.

لكن شباب الثورة الغرب درسا في معاني الكوسموبوليتانية والديمقراطية العزيرة على القلوب. فقد كانت ممارسة هذه المطالب ممنوعة زمنا مديدا على الجنوب تحت ذريعة التحقير المشككة في بلوغه النضج. وثبت أن هذه القيم ليست مخصوصة بالغرب، وعندما انتهت حركة 68 المصرية إلى بلوغ الشارع صادف أن تزامنت مع إثارة ثيلو ساراسان (Thilo Sarrazin) مناقشة وطنية في ألمانيا تمحورت حول التدهور الجيني للأعراق وإدماج الأتراك (للاطلاع على مناقشة للقضية تراجع مقالة هيلما لوتز، من الكوسموبوليتانية إلى علم الاجتماع العمومي، حور/كوني، 1-3).

قد يكون من المبكر مقارنة الثورة المصرية بالثورتين الروسية والصينية ولكن ما يجعل الحالة المصرية مثيرة للإعجاب هو تحول الإنترنت والفايسبوك والهواتف النقالة وتويتر إلى أدوات حيوية في نقل المعلومة بالطريقة الأسرع. ويكشف ذلك بجلاء الكيفية التي استخدمت بها في هذا الطرف تقانة مثيرة للجدل، إذ كثيرا ما اعتبرت نتاجا لثقافة وافدة وأنماط حياة استهلاكية، للانتفاض على السواتر الفولاذية التي أقامها المستبدون العرب الموهوسون.

ولكن التقانة لم تكن في هذه الحالة إلا القناة ولم تكن الرسالة. وكان الأمر في ما يهم القناة يتعلق بالسرعة فيما كانت الرسالة تتعلق بما يجري حقيقة في الشارع. وقد كان مانويل كاستل محقا في إبراز دور الفضاء الافتراضي في خلق مقاييس جديدة لمجتمع شبكي. فقد تحدث عن لغة إعلامية جديدة وعن شفرات جديدة. ولربما افتتن من شاهد ميدان التحرير بذكاء الشباب من محتجّي حركة السادس من نيسان/أفريل الذين ابتدعوا أكثر الشعارات المعادية لمبارك فعالية واختزالا واختصارا على الإطلاق. لقد كانت تلك الشعارات مختصرة المعاني التي ألقت بين الآلاف إن لم تكن الملايين من المناصرين. فقد تمثلت بعض الشعارات في لفظة واحدة "إرحل" و "باطل". فهل كان ذلك أثرا للغة الاتصال الإلكتروني المشقّرة والمختزلة مثلما تنبأ بذلك كاستل؟ ليست لهذا السؤال إجابة حقيقية.

الثورات العربية: من هم الفاعلون الرئيسيون؟

ساري حنفي، الجامعة الأميركية في بيروت، عضو اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع



6

بقدرتها على دمج الاجتماعي بالديمقراطي. فحساسية المتظاهرين للبطالة وعداؤهم للنظام الاقتصادي النيوليبرالي والنيوترومونيال (Neopatrimonialism) مربوطة بحساسيتهم بأهمية العدالة (في تونس هناك هوة اقتصادية بين أقاليم الداخل والجنوب، من جهة، والعاصمة والأقاليم الساحلية الشرقية، من جهة أخرى) والكرامة والحرية: حرية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات السياسية، حرية التعبير، حرية ممارسة الشعائر الدينية، حرية الكتابة ضد الفاسدين من أعضاء الحكومة، أو عائلتي مبارك وبن علي وعائلة زوجته الطرابلسي.

وهكذا، فإن التقاء الاجتماعي بالديمقراطي هو الذي جعل الشباب التونسيين والمصريين يشعرون بأنهم (Homo Sacer تحولوا إلى كائن مستباح) الذي يعطيه له الفيلسوف الإيطالي جورجيو آغامبن، أي

هزّ الوطن العربي زلازل سياسية مدوية منذ شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي. وقد نجحت ثورتَي الياسمين في تونس والميدان في مصر وتحطيم صنميهما (بن علي ومبارك) وهم في طريقهم في اليمن، البحرين، سوريا وليبيا.

ويكمن أهمية هذه الثورات في التقاء الاجتماعي والديمقراطي في مطالب الشعوب. ففي تونس حدث أن لحق بانتفاضة مدينة قفصة في تونس قبل سنتين حول الخبز والبطالة، تظاهرة مستخدمي الإنترنت والفيسبوك في مدينة جرجيس التونسية، مطالبين بتحرير المسجونين وإعطاء حرية الرأي والتعبير.

في الانتفاضتين التونسية والمصرية تمثلت انتفاضة الشباب الجامعي المتعلم والعاطل عن العمل، والعمال، تلك التي اتّسمت

أجساد عزّل جائعة جرّدها النظام من ذاتيتها السياسية ومن حقها في الانتماء إلى تيارات وأحزاب، أدخلها النظامان في دائرة الممنوع (كما هي الحال في حركة النهضة الإسلامية وحزب العمال الشيوعي التونسي وحركة الإخوان المسلمين وحزب الكرامة).

فعندما تحوّل الرئيسان إلى حاكمين صاحبي القرار الوحيد في تطبيق القانون أو تعليقه، وفي منح أو حرمان الإنسان التونسي والمصري من الحياة الكريمة والعدالة، استباحتا أجهزتهما هذا الإنسان عبر النهب الاقتصادي والتسلط البوليسي والاعتقال والتعذيب والتصفية بدون محاسبة عادلة. لقد كتب محسن بوعزيزي، السوسيوولوجي التونسي، حول التعبيرات الصامتة لدى الشباب التونسي ليؤكد اللامبالاة بالشأن العام والانصراف عن السياسة والغرق الكلي في الشأن الخاص، ولكن الذي لم يره بوعزيزي هو أن ابن مدينته سيدي بوزيد (محمد بوعزيزي) قد تجاوز مجرد اللامبالاة حيث انفصل عن البنى الاجتماعية ليتحول إلى ذات محرّكة للحركة الاجتماعية. فجسده، كجسد الكثير من الشباب التونسية، الذي هو مرمى للنظام القمعي للسلطة التأديبية والحيوية الهادفة إلى التجريد الجذري من أي شكل من أشكال الفاعلية السياسية، قد أصبح بانتحاره موقفاً لمقاومة هذا النظام، وفيه تتحقق الفاعلية في لحظة تدمير الجسد لذاته. إننا في لحظة شبيهة بحالة المقاومين

الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، الذين تحدّوا السلطة السيادية التي أرادت لهم أن يكونوا أناساً مستباحين بحيث يمكن قتلهم بدون التضحية بهم (هو الموت الذي لا قيمة له). لقد تحوّل محمد بوعزيزي ورفاقه الذين ماتوا انتحاراً إلى فاعلين ضحوًا بأنفسهم، قالين بذلك العلاقة مع السلطة السيادية. ولكن على الرغم من شراسة وفساد نظام بن علي واستخدامه لحالة الاستثناء والطوارئ الدائمة، فإنه لا يوجد نظام استبداد كلي. فالدول المصرية ذات المليون ونصف رجل أمن وشرطي و350 ألف جندي عسكري وذات سجون التعذيب (خدمة لأجهزة المخابرات العالمية) لم تستطع مواجهة الشباب الثائر في ساحة التحرير والمظاهرات في المدن الأخرى. وفي تونس كان البطش عامل ضعف وليس قوة. فمن المثير للانتباه أن نظام بن علي «العنيد لقوي» لم يستطع جعل الجيش يبطش، كما فعلت الشرطة التونسية. ومن هنا فقد قام الجيش بدور هام في دفع بن علي للفرار. ومظهر آخر من مظاهر ضعف النظام هو نفي معارضيه من المثقفين إلى خارج تونس، فتحولوا إلى ناطقين ومنظرين لهذه الانتفاضة. أما النظام المصري، فإن خصخصة الدولة التي حولتها إلى دولة خاصة للتوريث ولشلة رجال الأعمال المرتبطين بالحزب الحاكم وأعوانه قد جعلت الدولة بدون قواعد طبقية ولا اجتماعية ولا طائفية، مما جعلها هشّة أمام مجموع الشباب المرتبطين بشرائح واسعة متوسطة وعمالية.

إن البعد الرمزي لهاتين الثورتين أخذ أقصى مداه؛ ففي مصر ظهر الشباب حاملو مطالب الثورة بأفراد متعلمين، سلاحهم الموبايل لأخذ الصور والكمبيوتر المحمول

للتواصل الاجتماعي، هم شباب وشابات، مسلمون ومسيحيون، يحملون يافطات صنّعت باليد. فهذه الثورة ليس وراءها الـ USAID والمانحون الذين اعتادوا تنظيم ورش حول حقوق الإنسان والديمقراطية في فنادق الخمسة نجوم. في المقابل عبّأت الدولة المتكلسة البلطجيين ومعهم خيولهم وجمالهم، فافتحموا الميدان وبيدهم الطوب والسكاكين والعصي.

في كلتا الثورتين لم تغب موضوعة الصراع العربي-الإسرائيلي. فكلا النظامين هو من محور الاعتدال، وهذا ما جعل هناك هوة سحيقة بين خطابيهما ومشاعر الجماهير التي رأت في اعتدالهما بطاقات خُصراً لاستمرار المشروع الاستيطاني الإسرائيلي وحصار غزة وقمع الفلسطينيين. لقد أثار انتباهي بعض الكتاب في جريدتي الأهرام و الأخبار الحكوميتين الذين انتقدوا مبارك لاستقباله تتيهاهو في 4 كانون الثاني/يناير في اليوم الثاني لإعلان إسرائيل هدم أربعة بيوت عربية في القدس ووقف غزة وقتل ثلاثة فلسطينيين فيها.

وبهذا المعنى، فإن رهاب إسرائيل في هاتين الثورتين له معنى. فلن يستمر الوضع العربي الضعيف المستجدي للدفاع عن أنظمتها. وما ستؤول إليه الأمور هو إرجاع الدور القائد إلى مصر ودورها الوجودي العربي، وتمكين ممثلي الشعب الفلسطيني (منظمة التحرير وحماس) من مقاومة المشروع الصهيوني. أثار انتباهي استخدام كلمة الكرامة كثيراً في خطاب ممثلي الثورتين. فكرامة الأمة قد أهانها هذان النظامان .

دعونا الآن ننتقل إلى محاولة لفهم من هم الفاعلين الرئيسيين في هاتين الحركتين الاجتماعيتين وفحواهما وعلاقة العامل الداخلي مع الخارجي.

طبيعة الحركة الاجتماعية فاعلو الحركة الاجتماعية

هناك فئتان: أولاً الشباب المتعلم ، غير المنظم حزبياً، ولكن الذي تفاعل سريعاً مع ناشطية الأحزاب والنقابات التي لعبت دوراً يتطلّل هذه الحركة، وأعطاهها الزخم اللازم للاستمرار والتعبئة والتأطير. ثانياً، ثمة شرائح العمال، المؤطرة نقابياً أو غير المؤطرة، والتي أغفلها الكثير من المحللين في محاولة واعية أو غير واعية لطمس بعدها الطبقي. إذًا، إن هاتين الثورتين في تونس ومصر هما حركتان اجتماعيتان اندمج بروعة فيهما البعد الكلاسيكي الطبقي مع البعد المدني الجديد الذي برز فيهما أهمية الفرد-الناشط في قدرته على تطوير قدرات التبصر الذاتي بحيث يستطيع الناشط أن يندمج مع بعض البنى وينفصل عن أخرى. أثار انتباهي قدرة بعض الناشطين الشباب المنتمين إلى حركة الإخوان المسلمين، إذ تبنّوا أجندة مختلفة في الشعارات وشكل الفعل في هذه الحركة.

لقد قام محمد بوعزيزي وحده بإشعال فتيل الانتفاضة، وانتفض الشباب بشكل غير منظم، ولكن ما لبثت النقابات العمالية أن قامت بتنظيمها وبنقلها من مدينة إلى أخرى. لقد كان الاتحاد العام التونسي للشغل بارعاً في التعامل مع النظام؛ ففي شمال تونس، وخاصة في العاصمة، كان قياديوه يتفاوضون مع النظام، بينما في الجنوب كانوا يعارضونه. أما الاتحاد العام لطلبة تونس، وهو خليط من مجموعات مؤيدة للنظام ويسارية وإسلامية معارضة، فقد لعب دوراً أساسياً في تعبئة طلاب الجامعة ضد النظام الزائل. أما نقابة المحامين، فدورها مهم

ركن التاريخ

جينيفر بلات، نائبة رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع
المسؤولة عن المنشورات

من المناسب، في سياق تحضيرات اللجنة التنفيذية لعقد اجتماعها السنوي في مكسيكو (21 إلى 25 مارس) مضافا إليه عقد منتدى يجمع الأعضاء بزملاء مكسيكيين، تسجيل بعض جوانب تاريخ الجمعية الدولية لعلم الاجتماع التي جرت في مكسيكو. حتى التسعينات لم تكن أمريكا اللاتينية ككل تزود الجمعية الدولية إلا بما يناهز 4 بالمائة من تعداد الانخراطات الفردية ولكن هؤلاء كانوا يحتلون مواقع مشاركة أوسع من ذلك في لجان البحث وفي التنفيذية التي كانت تحوي في الغالب ممثلين أمريكيين لاتين. وقد برز منهم خاصة جينو جرمانني (أرجنتيني، في منصب نائب للرئيس، 1962-1966) وفرناندو كاردوزو (برازيلي، في منصب رئيس 1982-1986). ولكن أول عضو يقيم في مكسيكو كان فرانثيسكو زاباتا، وهو لاجئ سياسي من الشيلي، للفترة 1978-1982، وكان آلان توران الذي زامله في الدراسة في باريس، هو من أوصى به. أما الثاني فقد كان جورج غونزاليز للفترة 1994-1998.

مثل المؤتمر الدولي الذي انعقد في مكسيكو سنة 1982 حدثا بالغ الأهمية، إذ كان أول مؤتمر على الإطلاق ينعقد في بلد من العالم الثالث. وفي ظل رئاسة أولف هيمليسترا للجمعية الدولية كان الموضوع "النظرية السوسولوجية والممارسة الاجتماعية" وكانت لجنة الترتيبات المحلية تعمل تحت قيادة جيراردو إيسترادا من الجامعة الوطنية الحرة في مكسيكو.

كان عدد المشاركين غفيرا إلى حد غير متوقع، حتى أننا طولبنا بطباعة المزيد من نسخ البرنامج بل إن ما كان أكثر أهمية تمثل، ربما، في أن البعض من المشاركات لم تكن على الأرجح بين تلك التي كانت تم تسجيلها.

اعترض الطلبة المحليون على برنامج اللقاءات ومحتوياتها سواء بسواء. لم يحو البرنامج إلا القليل من الأوراق التي تعالج قضايا مكسيكية في الوقت الذي كانت فيه تلك القضايا ملحة مع تدني قيمة العملة مقابل الدولار وتأميم البنوك. بالنسبة إلى الكثير من المكسيكيين كان علم الاجتماع موجها نحو النشاط السياسي وكذا نحو أسلوب عمل أكاديمي بحت بحيث كان العجز عن تناول مثل هذه المواضيع محل انتقاد شديد. وقد تزامن ذلك الطلب مع التنظيم المرتجل لعدد كبير من الجلسات المضافة إلى البرنامج الرسمي وانتظمت في نفس المبنى بمعية متحدثين مكسيكيين في مواضيع مكسيكية. كما انصب الانتقاد أيضا على الاقتصار تقريبا على اللغة الإنجليزية لدى التداول في الاجتماعات. طالبت مظاهرة كثيفة انتظمت أثناء جلسة من الجلسات العمومية بالترجمة إلى الإسبانية (التي لم تكن حتى ذلك الوقت قد صارت بعد لغة رسمية في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع)، وقد حملت إحدى اللافتات شعارا يقول "نعم لثرفانتس لا لشكسبير"، كما أوقفت جلسات أخرى لرفع ذات المطلب. لم تكن مالية الجمعية الدولية تسمح آنذاك ولا هي تسمح الآن بتأمين ترجمة فورية فيما عدى الجلسات العمومية ولكن ترتيبات اتخذت لفائدة الطلبة بحيث تمت الترجمة في بعض الجلسات (وقد حاجج أرتور ميير لدي كتابته تقريراً لاحقاً عن المؤتمر أن تلك المظاهرات لم تكن تمثل في الحقيقة مجرد لغة نزاعية بل تأكيدا لهوية ثقافية وطنية في وجه ما تمت مكافحته من هيمنة إمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية). وقد انتظمت احتجاجات مماثلة سنة 1990 لدى انعقاد المؤتمر الدولي الذي احتضنته مدريد، وحينها تم، أخيراً، اعتماد الإسبانية لغة رسمية في الجمعية الدولية.

ورائد في توسيع التظاهرات من تظاهرات شابة إلى تظاهرات تشمل كافة الأعمار، وفي العاصمة تونس.

أما في مصر، فقد بدأت الثورة بتحريك مجموعة شبابية (6 أبريل) التي نشأت بتفاعلها مع حركة الاضراب العمالية من المحلة الكبرى وتحولت عن طريق الشبكات الاجتماعية (الفيستوك وتويتر) إلى مجموعة متعاضدة، استطاعت باستخدام العالم الافتراضي تعبئة آلاف المتظاهرين من يوم 25 كانون الثاني/يناير، ومن ثم قامت الأحزاب والنقابات المصرية برفع مستوى التعبئة إلى حد التحدث عن مسيرات مليونية في كلٍّ من القاهرة والإسكندرية والسويس، وأيضاً من المنصورة ودمهور والزقازيق... الخ. نحن أمام ثورات يتعاطم فيها السياسي والحقوقي المدني على حساب الأيديولوجي. لقد ظن الكثير من الأنظمة وبعض المفكرين العرب والغربيين أن الشارع لا يعنيه إلا الإسلام السياسي. لقد أظهرت الحالات التونسية والمصرية أن الإسلاميين هم قوى مهمة، ولكن ليست الوحيدة، ولا يمكن أن تحكم وحدها بدون تعاونها مع قوى، وأن قوتها الضاربة تجاوزت تبسيطة الشعار «الإسلام هو الحل» لتطرح قضايا الحرية والديمقراطية كمثلياتها من الأحزاب المعارضة.

ولكن ماذا عن الجمعيات الحقوية والأهلية وغير الحكومية؟ لقد اختزل كثير من المانحين والمنظمات الدولية مفهوم المجتمع المدني في هذه الجمعيات، وظنوا أنهم هم الذين سيجملون رباح التغيير. لقد لعبت هذه الجمعيات دوراً مساعداً للنقابات والأحزاب المعارضة - وتجلّى ذلك بقيام منظمات حقوق الإنسان في تونس وفي الخارج بمواكبة الانتفاضة ونشر معلومات موثقة عن حجم الخسائر البشرية، وبتحفيز القوى العالمية الأهلية والسياسية الرسمية على أخذ مواقف حازمة من النظام. ومن هنا فإن من أهم مواصفات المجتمع المدني الحيّ هو تعاضد النقابات والأحزاب مع الجمعيات الأهلية. وأن الأوان للمانحين الذين يعنون فقط للجمعيات الأهلية أن يوزعوا دعمهم على كافة هذه المؤسسات. وإلا، فإن تضخم الجمعيات لن يحول دون القيام التغيير، المرتجى، فحسب، ولكن سوف يضعف النقابات والأحزاب، حيث سيتوجه خيرة شبابها إلى العمل في قطاع الجمعيات. إذا على عكس الحركات الاجتماعية التي شهدتها أوروبا الشرقية، حيث كان هناك قيادة معارضة موحدة، ففي الحاليتين التونسية والمصرية هناك شردمة وانقسام وضعف التبصر الذاتي (Reflectivity) لدى ناشطي الثورتين، وهناك منطلق شباب الثورة العفويين (على طريقة الثورة الفرنسية)، الذين هم في طور التنظيم والأحزاب السياسية الذين قبلوا بالتفاوض مع السلطة السياسية والبقاء في الشارع في آن واحد. وكفاعل ذي أهمية قليلة ولكن فعالة نرى دور الإعلام المرئي، الذي حفز الجماهير في ظل التنميط الإعلامي الكلي في تلفزيونات المحلية التونسية والمصرية. وفي هذا الصدد تحولت قنوات الجزيرة، العربية، BBC العربية France24 إلى شاشات لنقل صور جمعها الناشطون بموايلااتهم وإلى منارة لنقل آراء المعارضين للأنظمة البوليسية. أخص بالتحديد هنا دور قناة الجزيرة التي رفضت براديفم «عدم التدخل» في الشؤون الداخلية للأطراف العربية وتبنت براديفم «التضامن» مع الشعب المسحوق في مواجهة النظام التسلسلي.

ماذا بعد؟

لعل هذه الانتفاضة الرائعة ليست إلا نقطة البدء لعملية ديمقراطية مليئة بالألغام. لم يعد الشعب مقتنعاً بمعادلة الاستقرار والأمن من الديكتاتورية أو الفوضى/خطر الإسلام المتطرف». وعليه أية حال، فكما قال ماوتسي تونغ «هناك فوضى عظيمة، لا يمكن أن يكون الوضع أحسن من ذلك». علينا أن نتوقع طرفاً صعباً يحتاج المنطقة واستلام الجيش لمفدرات الحكم في كلا البلدين، ولكن التغيير بعد 30 عاماً من الاستبداد يستحق ذلك. وبهذا الصدد هناك رهانان اثنان في المرحلة المقبلة. الرهان الأول يتجلى في قدرة المعارضة على توحيد صفوفها باتجاه الدولة البوليسية السلطوية. والرّهان الثاني هو في قدرة الحركات الإسلامية، كحركة النهضة والإخوان المسلمين، على تقديم نموذج رائد بالمشاركة في الحكم على الطريقة التركية. اعتقد أن هناك أكثر من تيار يتراوح بين قطبي الاعتدال وقطب السلفية المحافظة. لقد بين المختصون في الإسلام السياسي، كفرانسوا برغا وحسام تمام قوة القطب الأول وضعف الثاني، مما يمكن أن يعطي بعض الأمل في إمكانية ملازمة موضوعة الديمقراطية بالحرية الفردية.

تعاطف مع علماء الاجتماع اليابانيين

تودّ اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع أن تعبر عن تعاطفها وتضامنها مع ضحايا زلزال اليابان الشنيع والتسونامي وكذا الحادث النووي اللذان تسببا فيه. نحن متأكدون أن الشعب الياباني سيواصل مجابهة هذه المأساة غير المسبوقة بروح جماعية قوية متجدّدة. ونودّ التعبير عن التزامنا بالوقوف إلى جانب علم الاجتماع في اليابان بكل الطرق الممكنة، ولكن خاصة بإنجاح المؤتمر الدولي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع في يوكوهاما سنة 2014. نحن على علم بأن هذا الحدث يتوج مائة عام من علم الاجتماع الياباني، ونحن نشكر على نحو مضاعف، في ظرف الخشية العميقة والأسى هذا، ما كابدته عضوان من الجمعية اليابانية لعلم الاجتماع هما رئيسها الأستاذ شوجيرو ياوزا ورئيس اللجنة المحلية لتنظيم مؤتمر 2014 الأستاذ كويشي هازيغاوا، للمشاركة في اجتماع اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية في مكسيكو. وقد قدم الأستاذ هازيغاوا إلى اللجنة التنفيذية تقريرا نورد فيما يلي نصه الكامل:



يوكوهاما، ميناء الأمل

كويشي هازيغاوا، جامعة توكوهو، سينداي، رئيس اللجنة المحلية لتنظيم مؤتمر 2014 الدولي في علم الاجتماع، يوكوهاما

16 ألفا مفقودين بعد انقضاء أسبوعين على الحادثة. كانت هذه الزلازل والتسونامي أسوأ كارثة طبيعية في تاريخ اليابان الحديث.

أنحن بحاجة إلى كارثة نووية أخرى شبيهة بكارثة تشيرنوبيل حتى نغير من سياسة اليابان الطاقة؟

ينشغل الكثير منا انشغالا بالغا بما يتعلق بالمفاعلات النووية في فوكوشيما. بوصفي عالم اجتماع بيئي وأكاديمي مهتم بالحركات الاجتماعية كنت معارضا معارضة تامة للسياسة الطاقة اليابانية العاملة على تطوير القوة النووية. نشرت سنة 1996 نقدا لهذه السياسة في كتاب عنونته خيار من أجل مجتمع ما بعد نووي، طالب الحكومة اليابانية باستعجال إنهاء سياستها النووية. وكنت كلما دعيت إلى إلقاء محاضرات عمومية أكرر إلقاء السؤال التالي: "أنحن بحاجة إلى كارثة نووية أخرى شبيهة بكارثة تشيرنوبيل حتى نغير من سياسة اليابان الطاقة؟". ومن المؤسف إلى حد بالغ أن تحذيري الذي كنت أطلقته منذ 15 عاما انتهى إلى أن صار حقيقة. لقد أخطأت الحكومة اليابانية وتجاهلت العديد من الفرص لتعلم الدروس من كارثة جزيرة الأميال الثلاث، وكارثة تشيرنوبيل النووية وحوادث أخرى أقل اشتهارا. وإني لأسف أن أجد نفسي مضطرا للقول أنني أشعر بالعجز والإحباط تجاه ذلك.

محل اجتماعنا غير مهدد بالزلازل

لسوف أتفهم حالكم لو شرعتم كلكم في التفكير أكثر من مرة في السفر إلى اليابان من أجل المؤتمر القادم للجمعية الدولية لعلم الاجتماع سنة 2014. ولكن دعوني أقل لكم أنكم سترغبون في المجيئ ورؤية الكيفية التي سيكون توفيق بها اليابان آنذاك في التجدد. إن تاريخ المجتمع الياباني المعاصر هو تاريخ تجاوز التجارب الكوارثية: زلزال كانتو الرهيب لسنة 1923، وغارات الحرب العالمية الثانية الجوية على طوكيو، والقنابل النووية الملقاة على هيروشيما وناغاساكي سنة 1945، وزلزال

ضرب زلزال رهيب وموجات تسونامي شمال شرق اليابان على المحيط الهادي فيما بعد زوال يوم 11 مارس. وكانت مدينة سينداي، حيث أعيش، واحدة من أكثر المناطق شدة في الضرر. كنا أنا وعائلتي على ما يكفي من الحظ بحيث نجونا. وحينما ضرب الزلزال صادف أن كنت أشتغل على ميزانية المؤتمر الدولي الذي تنظمه الجمعية الدولية لعلم الاجتماع. انقلب ما بعد زوال يوم الثلاثاء هادئ فجأة إلى كارثة. وارتجفنا أنا وعائلتي وكل المنطقة لسلسلة من الهزات الحادة وغير المعهودة. وقعت على الأرض كل كتبي ودفاتري تقريبا وفي رفة عين كنت وسط كومة من الكتب والأوراق بلغ ارتفاعها مترا تقريبا. حتى الآن، وبعد انقضاء أسبوعين، لا أزال غير مصدق لما حدث، فأنا أشعر أنني كنت جزءا من شريط سينمائي لا من حياة حقيقية.

مثله مثل سان فرانسيسكو ولوس أنجليس، شهد اليابان العديد من الزلازل. فهو موجود على حدود أربع شرائح تكتونية. وعلى ذلك فإن الزلازل شكلت إلى حد ما تاريخ المجتمع الياباني وظل الشعب الياباني دائم التوجس من الزلازل الكبرى وتهيئا لها. وعلى الرغم من ذلك لم يتوقع أحد تلك الصدمات المتصلة والمتعددة التي هزت شمال شرق اليابان وتتابع ثلاث شديدة الوقع منها خلال الدقائق الخمس الأولى. ذلك هو السبب الذي جعل التسونامي الناتج عن الزلزال ذي الدرجات التسع تندفع بما لم يتوقع من تلك السرعة البالغة. وتجاوزت الخسائر التي تسببت فيها تلك الأمواج كل متصور. ومع ذلك، وعلى اعتبار عدد تلك الزلازل وأحجامها، إذ كانت رابع أشد ما شهده العالم منها، والكثافة السكانية العالية التي عليها المجتمع الياباني، لم تبلغ الخسائر في نهاية الأمر إلا حدا بسيطا نسبيا. فقد كانت جماعات الناس حسنة التهيئ في سكنها المقاوم للزلازل وكانت المدارس والأحياء السكنية قد شهدت بصفة منتظمة تدريبات على مواجهة طوارئ الزلازل والتسونامي.

أنا فخور لكوننا وإلى حد اللحظة لم نسجل شغبا أو عمليات نهب. فحتى على أثر تسجيل الخسارة الأقسى، وحتى في المناطق الأكثر تضررا وحتى في طوكيو ذات الحجم المتروبولي تصرف الناس بهدوء ملتزمين بالوقوف في طوابير الغذاء والماء وأجلوا أسفارهم. وانبهر الكثير من المراسلين الأجانب بسيادة حس النظام الذي يسم الثقافة اليابانية حتى في ظل هذه الكارثة.

تم الإعلان بعد عن فقدان ما يناهز عشرة آلاف قتيل وخاصة في المناطق الساحلية فيما يظل ما يفوق



لم تشهد مدينة يوكوهاما ومحل المؤتمر باسيفيكو يوكوهاما خسائر كبرى بسبب الزلازل الأخيرة. فقد أعلموني على أثرها أن المباني كانت قد أنشئت هناك بطريقة تجعلها مهيئةً لتحمل الزلازل الكبرى وأن أمانها يُراقب دورياً. محل اجتماعنا مبني بطريقة تجعله مقاوماً تماماً للزلازل. لا يُسمع بالتسونامي في يوكوهاما، وهي لم تشهد طوال تاريخها الممتد على 125 عاماً إلا موجة بحرية ضئيلة الحجم لم تتسبب في أية خسائر. إن شكل خليج يوكوهاما يجعلها محصنة ضد موجات التسونامي مانعاً إياها من بلوغ المنطقة. إن يوكوهاما وسكانها بالغو التهيئ للزلازل.

ستبذل لجنة التنظيم المحلية اليابانية قصارى جهدها:

لجنة التنظيم المحلية اليابانية فريق وطني كثيف العدد بدأ عمله في جوان 2008. ويتحدر الأعضاء السبعة عشر المكونون لها من كل أنحاء اليابان ويشغلون في كل مجالات البحث. ونحن نبذل قصارى الجهد للتوفيق إلى تنظيم أحسن مؤتمر دولي لعلم الاجتماع على الإطلاق. نحن نتعلم بالتنسيق مع اللجنة التنفيذية في الجمعية الدولية والجمعية اليابانية لعلم الاجتماع من تجارب ودروس مؤتمر غوثمبارغ. ترحيباً بالمؤتمر خصصت باسيفيكو يوكوهاما في موقع واحد يجمع بنائيتين متجاورتين 80 قاعة اجتماع للجان البحث والمجموعات الأخرى. ولن يتطلب التنقل من أية قاعة إلى أخرى أكثر من عشر دقائق.

تُعدّ لجنة التنظيم المحلية لخمس جلسات تعالج المواضيع التالية:
 + الكوارث الطبيعية والإنسانية وتعافي المجتمع المحلي.
 + الخصوبة المتدنية والمجتمع المتسارع الشيخوخة وتغير العلاقات ما بين الجندرية.
 + قضايا المجتمع المحلي: المنظمات غير الحكومية والحركات الاجتماعية
 + التحديث المكثف والعولمة في سياق شرق آسيوي
 + البحث الاجتماعي والتربية في حقل علم الاجتماع.
 ترتبط هذه المواضيع أشد الارتباط بموضوع المؤتمر: في مواجهة عالم لا متساو: تحديات علم الاجتماع الكوني. كما أننا نؤكد على الآفاق شرق الآسيوية وننسق مع علماء الاجتماع الكوريين والصينيين والتايوانيين.

اجعلوا من يوكوهاما ميناء أمل

تقع باسيفيكو يوكوهاما في منطقة ميناتو-ميراى، المسماة "ميناء المستقبل" وكذلك "ميناء الأمل". منذ زمن بعيد تُمثل يوكوهاما قلب التفاعل بين الشرق والغرب ومركز التبادل بين شمال شرق آسيا وجنوب غربها مجسرةً المسافة بين آسيا و أمريكا ورابطةً بين مناطق آسيا الشرقية والجنوبية والعالم. لقد كانت ميناء الأمل بالنسبة إلى الشباب المغادر آسيا نحو الخارج قبل عصر السفر بالجو. ودخل العديد إلى اليابان من بوابة يوكوهاما أملين الحصول على فرص أكبر. وتعد يوكوهاما حالياً واحدة من مدن اليابان الكونية مشرقةً بوجوه عدة من التنوع، عارضة اختلافات فائقة وديناميات تتركز على تباينات إثنية، متحديةً الصورة النمطية لمجتمع ياباني هيمني.
 يمثل عدد المشاركين المسجلين واحدة من نقاط اهتمامنا. نحن نهدف إلى استقطاب أكثر من 5000 مندوب مثلما كان عليه الأمر في مؤتمر غوثمبارغ. وأخشى أن يكون عدد المشاركين أقل بسبب الصور السلبية المروجة عن الزلازل والحادث النووي.

ولكنني أعلم أنكم لستم "علماء اجتماع غرف مرفهة". كلكم علماء اجتماع شجعان تواجهون الواقع الاجتماعي. فلتبادروا من فضلكم إلى تحريض زملائكم وأصدقائكم وطلببتكم على المجيء إلى يوكوهاما بعد ثلاث سنوات من الآن، سنة 2014، حتى يشاهدوا ويعاينوا مجتمعاً يابانياً متجدداً ومعززاً. سيكون التزامكم بزيارة اليابان والمشاركة في المؤتمر الدولي دفعا قويا للمجتمع الياباني ولعلم الاجتماع الياباني. تفضلوا بتأكيد المجيء إلى اليابان ورؤية الشعب وثقافته رؤي العين بحيث يمكن لكم أن تختبروا التعافي الياباني وأن تشعروا به. فلنجعل من يوكوهاما، مرة أخرى، ميناء أمل موطناً لعلماء اجتماع شجعان يواجهون عالماً لا متساو باحث عن البدائل وعن مستقبل مستدام. إن مؤتمر يوكوهاما هو مؤتمركم. شكراً على كل مساعدتكم الودودة.

علم اجتماع دولي ذو إبتيميات مختلفة

سوجاتا باتل، جامعة حيدرآباد، الهند

إلى النظر في نظريات الحداثة ومن ثم علم الاجتماع. وقد بين الأكاديميون بأن نظريات علم الاجتماع الأوروبية والأمريكية الشمالية تتميز بالمركزية الإثنية وأن إبتيميتها المركزية الأوروبية أعاقت تطور اختصاص إدماجي حقا يمكن أن يحدّد علي أنه "كوسموبوليتي".

يفهم الخيال المركزي الأوروبي ذاته على أنه مرآة صورته هو وهو يرى نموه الذي كان ضمن سياق الأنوار الأوروبية التي ابتدعت موضوعا عقلانيا وإنسانيا جديدا. وباستخدام العقل والعلم غزا هذا الموضوع الجديد الزمان والمكان مستجيبا بذلك لمطلب التطور البشري ومحققا له. وبعوضا عن تصور الحداثة بوصفها نظاما اقتصاديا (نظام إنتاج رأسمالي مضافة إليه أسواقه) يستند إلى تشكيلة سياسية (نظام دول-أمم مضاف إليه تشكّل قومي يشرّعه القانون) وتنظيم اجتماعي (تشكّل الطبقات والجنود والأعراق والإثنيات) مضافة إليه ممارسات ثقافية (مثل أوقات الفراغ والعيش الرغيد)، عمد الخيال المركزي الأوروبي إلى تشيئها بحيث عنت، مثلما بين ذلك عارف ديرليك (Arif Dirlik)، مسارا "ثقافيا" أوروبا داخليا. لم تبرز هذه الذات في صيغة نموها الأهلي الخاص فحسب بل وكذلك عبر تنظيم مسار من الهيمنة الاستعمارية والإمبريالية. على أن الأكاديميين الأوروبيين قوموا هذا الخطاب ولا يزالون لا في علاقته المتبادلة بالاستعمار بل ضمن حدود تاريخه الأهلي ولغته. ولا يزال هذا الاتجاه إلى اليوم مفسّرا لمسار الحداثة العليا أو الجذرية أو الثانية في أوروبا وأمريكا الشمالية ومنظما للمناقشة حول الوطنية المنهجية.

الوطنية المنهجية

(Methodological Nationalism)

يستخدم مفهوم من وجهة ناقدة للوطنية المنهجية هما الفضاء والمكان. حاول المنظرون أن يبقوا عليهما منفصلين تحليليا ولكن في غالب الأحيان هناك عموض مفهومي في استعمالهما. يُتناول الفضاء على الغالب على أنه خطاب مجرد يعدّد التداخل العلائقي الاجتماعي في حين يتصوّر المكان على أنه التعيّن الموقعي الفيزيائي الذي يحتضن الإحداثيات المكانية التي تُنتج على صيغة علاقات اجتماعية مختلطة. تدريجيا، "انفصلت" هذه الأمكنة وعرّفت نفسها على أنها "وعي" جامعة معاني رمزية (مثلما هو الشأن في مثال المدينة، فلنقل بوينس آيروس، وفي مثال الدولة-الامة فلنقل جنوب إفريقيا). وتبعاً لذلك كفلت هذه الهويات في المقابل تضامناً بُنيت في مواجهة أمكنة-مجالات مكانية أخرى شأن الوطنية منها

أطلقت حوار كوني مطارحة مثيرة للاهتمام تهم علم الاجتماع. تدخّلي موجه إلى مساهمتي أولريك بك (Ulrich Beck) في موضوع "الانعطاف الكوسموبوليتانية" (حوار كوني 2:1 و 3:1) كما يشير إلى التعاليق التي تقدم بها راوين كونل (Raewyn Connell) في المسألة (حوار كوني 2:1). ينحصر تعليقي في أفكار ثلاث: الكوسموبوليتانية المنهجية، الوطنية المنهجية وعلم الاجتماع الكوني.

الكوسموبوليتانية موضحة مثلما يقول كريغ كالهون (Craig Calhoun). وبدلاً عن بلورة مختلف معانيها ومساراتها أستخدّمها في مفهومها الاعتيادي أي الاعتراف بالآخر في كل تشكلاته، أو، إذا ما اردنا إيضاحاً أكبر، بما يعني ما أورّدته افتتاحية العدد 2000 من *Public Culture* أي "في شبكاته الواسعة الخفاقة" بما يجعلها "تضع اليد على شيء مما نحتاجه من تشييد حسّناً بالتشارك ضمن شروط التشارك".

لن يكون بمستطاعنا بالتأكيد أن نؤلف بين ما يعتبره بك "أفاق مستويات التحليل السوسولوجي المتناقضة تناقضا شاملا (شمالية وجنوبية) إلا إذا اعترفنا بما بيننا من تشارك واختلاف.

سؤالي هو التالي: لم لا تعترف المنهجية الكوسموبوليتانية التي يتبنى بك بأغلب التجارب المهمة التي خاضها أكاديميو علم الاجتماع في مختلف أنحاء الجنوب؟ لم تتم مناقشة ذلك إلا من قبل كونل في كتابها *النظرية الجنوبية (Southern Theory)* ولكن بلورته كانت أيضا على أيادي العديد من الأساتذة المتحدرين من الجنوب. تم تحديد الكوسموبوليتانية وتعريفها على أنها تبعية أكاديمية واستكشفت مظاهرها ضمن مسارات التدريس و التعلم، وفي المقررات الدراسية وفي مسارات البحث وفي صياغة ما يتبنى من مقاييس قبول المقالات المخصصة للنشر في المجلات وفي الكتب، وأخيراً في تحديد المناير التي يمكن أن يتم النشر فيها وفي تحديد التميّز الأكاديمي.

ما أسباب تواصل سيطرة هذه التبعيات الأكاديمية؟ تتعدد الأوجه بداية من استكشاف العلاقة بين الاستعمار وأشكاله المعرفية. على أن سيطرته على شاكلة أعراض "العقل الأسير" (إذا ما استعزنا كلمات سيد حسين العتاس) حتّى بعد الإنهاء الشكلي للاستعمار، قادت العديدين

(سنغافورة في مواجهة ماليزيا) وما فوق الوطنية (أندونيسيا في مواجهة هولندا) عبر استخدام روابط وتضامات مكانية محلية (ميدان التحرير). لا تميز الوطنية المنهجية التمهيد المعقد بين الفضاء والمكان حين تحتاج أن تصوّر الأمة والجنسية والوطنية (nationalism) لم تكن إلا ذات آثار سلبية في تطير العلوم الاجتماعية (في ما يهم الطريقة التي انتظمت بها النظريات وتلك التي ركزت عبرها المناهج والطرق المنهجية في أن معا). قد يكون ذلك هو ما حصل في البلدان الاستعمارية الإمبريالية مثل فرنسا وألمانيا حيث وضع "مؤسسو" علم الاجتماع سُنَّ الاختصاص، ولكن هذه الحجة لا تستقيم بالنسبة إلى كل العالم. ذلك أن الوطن والوطنية انخرطنا إيجابيا أيضا في الخطابات التي تبلورت في البلدان ما بعد الاستعمارية مثل الهند. ويمكن لتفحص تاريخ علم الاجتماع في الهند بوصفه اختصاصا علميا أن يجعلنا نفهم هذه التعقيدات.

استعمل العلم الاجتماعي في سياق تطوره في الهند تصوّرا وطنيا لِيَسْأَل استخدام الاستعمار النظريات والمناهج الأنثروبولوجية ليهيكل خطابا حول المجتمع "الهندي" بوصفه مجتمعا غير حديث. لقد سمح تنامي الإيديولوجيات الوطنية في فترة ما قبل الاستقلال فلاحقا بمساءلة ما تقبلنا من معرفة استعمارية تَطَّرت إلى "المجتمع الهندي" من خارج، وبالتأكيد على الحاجة لدراسته من الداخل بما يُيسِّر ابتداء لغة علمية اجتماعية تقارع النظريات التي بُنيت ضمن علم الاجتماع الأوروبي. ومع إطلاق مشروع وطني تحديتي استخدم التعليم العالي من أجل خلق فرص حراك وِجَّة الوطنيين العلوم الاجتماعية بحيث انتهت إلى أن تضطلع بدور ناقد للإطار المفاهيمي الذي بُنيت عليه مخططات التغيير الاجتماعي والتنمية.

وعليه، فقد مثلت الوطنية المنهجية في حالة الهند وفي بلدان ما بعد استعمارية أخرى، تَبَيَّن وعي ذاتي لمكان موطن بهدف خلق طاقم من الخطوط الموجهة تضمن مقارعة خطابات العلوم الاجتماعية الاستعمارية. وسمح التماهي مع المكان للمثقفين الوطنيين بأن يَبْنُوا تضامنا ما بين مثقفين يواجه المعرفة الاستعمارية المهيمنة، وقد يَسَّر الاعتراف بروابط المكان تلك ثانيا بتنامي خطاب "بديل". عندها أصبح ممكنا اعتبار ذلك مبدأ تنظيميا في مؤسسة أنظمة المعرفة عبر سلسلة من الترتيبات والسياسات حدّدت مراسم التعلم والتدريس وممارستها، ومؤسسات البحث وممارساته ضمن المعاهد.

المخصصة له، وتوزيع منح البحث، واللغة والتفكير، وتنظيم المهنة وتعريف الأكاديميين والأكاديمية

تحتاج هذه الجينولوجيا إلى الإبراز والتفويض في تقابلها مع السلبيات التي تم استخراجها من خلال المناقشة حول الوطنية المنهجية. لم يحد علماء الاجتماع المتحدرون من البلدان ما بعد الاستعمارية من فهم علم الاجتماع الدولي لا بل وسَّعوه. فقد أكدوا من جهة إمكانية استخدام طرق بديلة في وضع مسارات سياقية عبر التأكيد على تعدد الخصوصيات

التي هيكلت العالم، وأبرزوا من جهة ثانية مظاهر اللامساواة في بنية علم الاجتماع الدولي. ويتميز هذا الميراث اليوم بمناسبته لواقع الحال ولا يمكن التغاضي عنه. لا يعني هذا تأكيدا على إعادة إنتاج "المجتمع" بوصفه مكانا-موطنا (كما تعرّفه الدولة-الأمة) ضمن علم الاجتماع الوطني في بلدان ما بعد الاستعمار لم تخلق مشاكل منهجية. من الواضح أن علوم الاجتماع هذه جعلت روابط المكان المعبر عنها في الأصوات والتجارب "المحلية" "الضعيفة" غير مرئية و-أو متجاهلة مثلها مثل "المهمشين" الملحقيين بها. ولئن ساءلت علوم اجتماع منتهى القرن العشرين ما فوق الوطني فقد هيمنت على المحلي الخاص بها وأسبغت عليه الصفة الكونية. إن السؤال الذي يمس بجوهر المجادلة هو التالي: ما هي الأطر التي نحتاج من أجل ابتداء علم اجتماع دولي يمكن له أن يشمل بتحليله مسارات الهيمنة والإخضاع (dominance-subordination) النزاعية والمتناقضة هذه التي نظمت إيبستيمياتها المتباينة وصممت عن أخريات كثيرة في العالم؟

علم اجتماع كوني؟

أوافق بك حين يسأل: "كيف يمكن للنظرية الاجتماعية والسياسية أن تفتح نظريا وميدانيا ومثلاً بمثل منهجيا ومعياريا على الحدائث الجديدة تاريخيا والمتقلقلة التي تهددها في أساسها؟". قد نناقش إن كان إطلاق تسمية "الحدائث المتقلقلة" (entangled modernities) هو التوصيف التصنيفي المناسب لتفحص النظام الرأسمالي المترابط الذي تَهَيَّكَل في مسار غير متجانس ومتداخل انطلاقا من القرن الخامس عشر وحتى اليوم. ولكن الواضح أننا بحاجة إلى هجر التمثلات التي نظمت خطابها (كما هو الشأن في علم الاجتماع) منذ القرن الثامن عشر فلاحقا في صيغ ثنائيات الكوني (universal) (المركزي الأوروبي) والخصوصي (particular) (ما بعد الاستعماري والوطني). وبالتوازي مع ذلك وفي خضم ما نفعله في سياقها، علينا التأكيد من أننا لا نستخدم إيبستيمية كونية تُعيد خلق عقل "أسير"، في ما نستعمل من عبارات وفي ما نقصده منها من المعاني في الآن نفسه.

لكلمات "كوسموبوليتاني" و"كوسموبوليتانية" و"كوني" مع الأسف تاريخ طويل ضمن الحدائث الأوروبية وهي لا تزال مشحونة بما وضعته فيها هذه التواريخ ومن ثمة بمعانيها. وعليه فقد خيّر استخدام لفظة "تنوع" إذ أن استعمالها في العديد من اللغات بما فيها الإنجليزية كان متعدد التلاوين وأن معانيها تمتد من مجرد التأكيد على الاختلاف إلى تشييد نظرية وجودية في الاختلاف تعترف بمركزية مفهوم السلطة في ابتداء الإيبستيميات. على المستوى الرمزي، تفترض اللفظة التشتت بدلا عن التجانس كما أن من بين آثار استخدامها (بوصفها نظرية وجودية) أنه يخول عدم وضع هذه الإيبستيميات على خط واحد وعدم اعتبارها مساوية لبعضها البعض. بل إن ذلك يمتد إلى العلاقات المشتركة المختلفة التي تنسجها الواحدة مع الأخرى وكيفية انتظامها ضمن شروط تشاركها. تهيكّل هذه الشروط بفعل مستويات متعددة من ديناميات الفضاء-المكان ضمن ما يعمل عليه منطق السلطة. فإذا ما أخذناها منفردة لما وجدنا من بينها ما يتفوق وما يتدنى، أما من منظور جماعي فهي تظل منفصلة الواحدة عن الأخرى ومتنوعة وكونية ولكنها مترابطة. إنها تقدّم نظرياتها الخاصة وتعرّفها من أجل التأسيس لآفاقها المتميزة والمختلفة البانية لعلوم اجتماعها المخصوصة ونظرياتها وممارساتها.

إن التحدي اليوم هم ابتداء تلك اللغة وتلك الأرضية الثقافية اللتان يمكن أن تعترف بمنطق السلطة هذا وهو يترقى بأصوات التقاليد السوسولوجية المتعددة.

في مواجهة التفاوت الاجتماعي: نقاش دولي في مكسيكو بقلم راكل سوزا إيداعا، جامعة مكسيكو الوطنية الحرة، نائبة الرئيس المكلفة بالبرمجة



14

في التمييز والعنصرية والعنف ضد المرأة والجهل وتجاهل حاجات الجماعات والمدن وإنكار التنوع الثقافي وصعود مجموعات وقطاعات وطبقات اجتماعية جديدة. وقد تمكنا من أن ننهل من معارف المتحدثين في التفاوت الاجتماعي التي تشهدها بلدان مثل الهند وجنوب إفريقيا والمكسيك وبلدان أخرى من أمريكا اللاتينية ولبنان واليابان والإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة والفلبين والسويد وفرنسا وروسيا وبريطانيا. كان ذلك تفحصا مثيرا لمختلف معاني التفاوت الاجتماعي ودرجاته في سياقات ثقافية مختلفة. وقد أجبرنا ما انتسج من عُقد هذه الشبكة المركبة لا على معاودة التفكير في تفسيراتنا فحسب بل وكذلك في ما يُقترح من أجل إنهاء التفاوت الاجتماعي والمشاكل الذي يتولد عنه. وأخيرا حضرت في مناقشتنا تصورات مختلفة للعدالة بدءا بتلك التي أوردها جون راولز وأمارتيا سين وصولا إلى المساهمات العلمية الاجتماعية التي قَدَّمها غوران ثاربرون ودافيد هارفي وبيار بورديو. وانطلاقا من فهم التعالق بين التفاوت الاجتماعي والإقصاء من جهة وبين التفاوت الاجتماعي والعنف من جهة ثانية ومن جهة ثالثة بين التفاوت الاجتماعي وعلاقات القوة وأثرها في تنظيم الفضاء العام تبينت حدود المناظير دقيقة التخصص. إن استعجالية الوضع كونيا تدعو علم الاجتماع حتى يُدليَ بدلوه في المناقشة العمومية.

كان ذلك هو اللقاء الأول في سلسلة من المنتديات والورش والندوات التي ستبحث مسألة التفاوت الاجتماعي في عالم اليوم، علما وأن المناقشات ستتصل خلال منتدى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع الذي سيعقد في بوينس آيرس (2012) بحيث تبلغ ذروتها في مؤتمر يوكوهاما الدولي لسنة 2014. ومن شأن ذلك أن يوحى باتجاهات جديدة في علم الاجتماع الذي يسعد حاليا بانبعث دولي.

بالتوازي مع اجتماع اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع في مكسيكو، من الحادي والعشرين إلى الخامس والعشرين من مارس 2011، جمعت كلية العلوم السياسية والاجتماعية التابعة للجامعة الوطنية الحرة بمكسيكو زملاء مرموقين مكسيكيين وأمريكيين لاتين إلى آخرين من أرجاء مختلفة من العالم لمناقشة اللامساواة. في ثلاث محاضرات استكشف رئيس الجمعية مايكل براووي ورولان دو كورديرا وغوران ثاربرون إمكانية دراسة التفاوت الاجتماعي، جذورها وتطورها في العلوم الاجتماعية ومختلف استتبعاتها على العالم المعاصر. وقد أمدتنا ثلاث جلسات مناقشة شارك فيها ثمانية عشر زميلا من مختلف البلدان بمراجعة فاحصة للمطارحة النظرية المهمة بالتفاوت الاجتماعي، وبمعرفة بمختلف تعبيراتها الاجتماعية والثقافية وأفاقها في أنحاء مختلفة. واستكشفتنا مخاطر تعمق التفاوت الاجتماعي وكيفية مواجهة الجماعات المنظمة لها وخاصة مع تفاقمها المؤلم خلال الثلاثين سنة الأخيرة.

وبالاستناد إلى منظور نقدي، حاجج العديد من الزملاء بأننا في مغترق حضاري يشهد استخداما مكثفا للموارد الطبيعية وتدهورا بيئيا يهددان بالتأثير سلبا في فرص إعادة إنتاج الحياة على الأرض. وانطلاقا من القلق الذي نستشعره جراء الحروب والكوارث وتجارب النزاعات حول الثروة المائية، أظهر كل المشاركين وعيا عميقا والتزاما بالمبدأ القاضي بتجنب إبادة الأنواع والبحث عن بدائل حقيقية تضمن حماية وجودنا الجماعي.

ومن خلال المداولات التي جرت في الجلسات، وضعت دراسة هذه الظاهرة المعقدة الإصبع على التداخل والتقاطع الحاصلين بين التفاوت الاجتماعي على الصورة التي يظهر عليها

اجتماع اللجنة التنفيذية في مكسيكو،

من 21 إلى 25 مارس 2011

يقلم مايكل بوراوي (Michael Burawoy)، جامعة كاليفورنيا، بركلي ورئيس ج.د.ع. اج

المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان
الخاصة بعلماء الاجتماع وبمكافآت الجمعية
الدولية وبانخراطها في منظمات دولية
أخرى.

وفي ما يلي ملخصات التقارير
الفرعية الصادرة عن نواب الرئيس

مارغريت أبراهام (Margaret Abraham)، نائبة الرئيس المكلفة بالبحوث:

نظمت لجنة تنسيق البحوث (ل ب) اجتماعا مثمرا في مكسيكو عالج قضايا ائبثقت عن اجتماعات اللجنة التي سبق وأن انعقدت في غوثانبارغ. ويشمل ذلك الإرسال الإلكتروني للأهداف والشروط الخاصة بلجان البحوث والموافقة على التوصية برفع العدد الأدنى المطلوب لتشكيل لجنة بحث (ل ب) من 25 إلى 50 عضوا من أعضاء الجمعية الدولية موثوقي الانتساب واشترط عدد 25 عضوا لتشكيل مجموعة عمل (م ع). وعرضت ماغرات أبراهام تقارير عن مؤتمرات (مستمدة من المعطيات الخاصة بأنشطة ل ب و م ع ومجموعات الموضوعات (Thematic Groups) (م م) وعن مخططات منتدى بوينس آيروس لسنة 2012. وناقشت اللجنة التقارير المقدمة ومسائل أخرى من مشمولاتها بما فيها انتخاب مكتب ل ب 51. كما نظرت نائبة في مشاريع مقترحة تهم اثنين من م م: 1) إنثوغرافيا المؤسسات، 2) الحواس والمجتمع. وتمت الموافقة على الأول فيما ظل الثاني محل مراجعة. وتم تخصيص جزء مهم من الاجتماع لمراجعة الترشيحات لنيل جائزة لجنة البحوث في الجمعية الدولية لسنة 2011 وإقرارها.

جينيفر بلات، نائبة الرئيس المكلفة بالمنشورات:

حال مجلات الجمعية الدولية مرضي حيث تسجل ارتفاعا في أعداد المشتركين وتوسعا في التوزيع وتكاثرا في الإحالة عليها. على أن أوزار عمل المحررين تكاثرت أيضا فيما تقلصت بعض مقادير المساعدات المالية المحلية. ولكن محاولات جرت لزيادة التمويلات فنجحت بفضل عرض تفاصيل الكلفة الجارية لبعض الأعمال. وتبذل جهود لتحديد المصاعب المحلية التي تحول دون الوصول إلى المحتويات الرقمية بحيث نوضع سياسة مناسبة.



15

كوني التي تظهر الآن في تسع لغات ست مرات في السنة، والجامعة المفتوحة **علم الاجتماع الكوني، حياة،** وموقعنا الخاص **سوسيو توب** المكرس لعلم الاجتماع الحركي، وأخيرا مدونتنا **جامعات في أزمة**. كل ذلك يلقي قبولا حسنا وللجمعية الدولية الآن صفحتها النشطة على الفايستوك التي اجتذبت الكثير من الاهتمام. وقد أكدت على أهمية التشبيك بين فرق علماء

الاجتماع الشبان عبر أرجاء العالم حتى يعملوا على استغلال هذه العوالم الرقمية. وينصب جانب من اهتمامي بهذه العوالم على خلق انفتاح وشفافية أكبرين في ما يهم أنشطة اللجنة التنفيذية وصلاتها بالجمعيات الوطنية ولجان البحث وسائر المنخرطين في أن معا. وعلى ذلك فسنعمد إلى نشر تقرير سنوي مختصر عن أنشغالنا، مثل هذا الذي يوجد الآن بين أياديكم، علي صفحات **حوار كوني** وبما يشمل أهم مقررات اللجنة التنفيذية. كما ناقشنا مجموعة من المبادئ التي ستحكم صنعنا للقرار ومداؤلاتنا وبما في ذلك الاعتراف بما قد ينشأ من "تعارض للمصالح".

وقد اتفقنا على أن أشكّل عددا من اللجان الفرعية تتولى معالجة

اجتمعت اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع لخمسة أيام في مكسيكو في ضيافة كريمة تفضلت بها كلية العلوم السياسية والاجتماعية التابعة لجامعة مكسيكو الوطنية الحرة وخاصة عميدها الدكتور فرناندو كاستانييدا سايدو وهو رئيس الجمعية المكسيكية لعلم الاجتماع أيضا، والدكتورة راكل سوزا إلباغا وهي نائبة الرئيس المكلفة بالبرمجة، وانطلق ماراثون الأيام الخمسة باجتماع للجنة البرنامج استغرق يوما كاملا، تلتها اجتماعات كل من لجنة المنشورات التي ترأسها نائبة الرئيس جينيفر بلات، ولجنة المالية والعضوية التي ترأسها نائب الرئيس روبر فان كريك، ولجنة الاتصال مع الجمعيات الوطنية التي ترأسها نائبة الرئيس تينا إيبس، ولجنة تنسيق البحوث التي ترأسها نائبة الرئيس مارغرت أبراهام. واجتمعت اللجنة التنفيذية بكامل أعضائها ليومين في آخر الأسبوع. وبالتزامن مع اجتماعات مختلف اللجان نظم مضيونا مؤتمرا مهما جمع علماء الاجتماع المكسيكيين بأعضاء الجمعية الدولية حول موضوع: مواجهة التفاوت الاجتماعي: تحد يواجهه العالم المعاصر، استبق مناقشات مؤتمر الجمعية الدولية العالمي المزمع عقده في يوكوهاما. منذ انتخابي رئيسا في مؤتمر غوثانبارغ، نقلت انطباعاتي عن رحلاتي المختلفة إلى العديد من البلدان وسجلت التقدم الحاصل في عوالمنا الرقمية: النشرية الجديدة **حوار**

كما أعلن عن مشروع إصدار كتاب تترجم فيه الأعمال الأهم التي أنتجها أكاديميون من شمال شرق آسيا يوافق صدوره التمام المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع المبرمج عقده في يوكوهاما سنة 2014. وباعتبار عدم وصول ما يكفي من الترشيحات لرئاسة تحرير الإصدار المقبل من **الدليل الدولي في كتب علم الاجتماع** في الآجال الموضوعة فقد تم الاتفاق على تمديدها وذلك لتشجيع على تقدّم مترشحين آخرين. ونظم محرّر **علم الاجتماع الآن** ورشات جمعت محررين محتملين كما انتظمت دورة من "اجتماعات المحررين" في مكسيكو. وستقوم أنشطة مماثلة كلما أمكن تنظيم اجتماعات ودورات تدريبية

راكل سوزا، نائبة الرئيس المكلفة بالبرمجة،

تتكون لجنة برنامج المؤتمر العالمي في يوكوهاما (2014) من الرئيس ونوابه المكلفين بالبحوث والجمعيات الوطنية و4 أعضاء من اللجنة التنفيذية ورئيس اللجنة التحضيرية المحلية و6 من علماء الاجتماع يختارون لخبرتهم وتمثيلهم لمختلف التقاليد العلمية والأقاليم. ويرأس اللجنة نائب الرئيس المكلف بالبرمجة. وتتمثل مهمتها الرئيسية في هندسة البرنامج العلمي والمناقشات التي ستم في يوكوهاما عبر تنظيم مختلف الجلسات العمومية ولقاءات الكتاب والنقاد واللقاءات المدمجة، إلخ... المناسبة لموضوع: **مواجهة عالم غير متساو: تحديات علم اجتماع كوني**. حددت لجنة البرمجة في اجتماعها الأول تصورا عاما للبرنامج ولمواضيع الجلسات العمومية الأربع الكبرى: التحاليل متعددة الأبعاد للتفاوت الاجتماعي، ديناميات التفاوت الاجتماعي، قضايا العدالة، وأخيرا، سبل بديلة لإنهاء التفاوت الاجتماعي. ونأمل أن تكون هذه الخطوط الموجهة العريضة محفزة للجان البحث وللجمعيات الوطنية بحيث تُغذي مبادرات أكاديمية مثمرة وكذا ورقات عمل تعالج واحدة من أكثر مشاكل عالمنا المعاصر ضغطا.

تينا إيبس (Tina Uys)، نائبة الرئيس المكلفة بالجمعيات الوطنية،

ناقشت لجنة الاتصال فيما بين الجمعيات الوطنية (ل ات ج و) الترشيحات الخاصة بالانخراط الجماعي النظامي وتطوير الموقع الإلكتروني والمنح الخاصة بالمؤتمرات الإقليمية التي وردت عليها من الجمعيات الوطنية. وتمت الموافقة على ترشيحات جمعيات علم الاجتماع الوطنية الأرجنتينية والبنغالية والإيرلندية واللبنانية والموزمبيقية، وتكفل أعضاء ل ات ج و

بالعمل وفق ما ييسر الصلة بالأعضاء الجدد.

ولدى مناقشة منح الترشيح للعضوية حرصت ل ات ج و على توضيح الشروط الخاصة بالمنحيتين وتمنح أولاهما تخصيصا للمساعدة على تركيز موقع إلكتروني وظيفي خاص بالجمعية الوطنية المعنية في حين لا تتمتع المساعدة لإنجاز مراجعة عميقة لموقع موجود بعدّ بالأولوية. كما تقرر أن يتم تشجيع الجمعيات الوطنية على تأمين ترجمة صفحة الاستقبال في موقعها إلى واحدة من اللغات الرسمية المعتمدة في الجمعية الدولية. إن الهدف من تأمين منحة مؤتمر إقليمي هو توفير تمويل استضافة حوار عابر للحدود الوطنية في إقليم ما أو ورشات ما بين إقليمية. وقد تم إسناد منح تطوير المواقع الإلكترونية والورشات الإقليمية إلى المعهد الألباني لعلم الاجتماع والجمعية الوطنية القرغيزية فيما تسلمت الجمعيات الوطنيات الإسبانية والبرتغالية منحة مشتركة لتنظيم ورشة إقليمية. كما تقرر أن يُعرض التقرير الخاص بمدى التقدم في إنجاز المهمة الواجب تقديمه من طرف كل متحصل على منحة خلال الاجتماع الموالي للجنة التنفيذية.

تمت المصادقة على صيغة طلب توجيه المقترحات الخاص بمؤتمر ل ات ج و لسنة 2013 وسيتم توزيعه على كل الجمعيات الوطنية، كما تم البدء بمناقشة الموضوع الذي يمكن أن تعقد حوله أشغالها. وفي الأخير نظرت اللجنة في إمكانية القيام ببحوث حول تاريخ كل جمعية وطنية وعضويتها وأنشطتها وهيكلها والمعوقات التي تعترض عملها وبما يسمح لل ات ج و بتحديد سبل مساعدتها.

روبار فان كريكن (Robert Van Krieken)، نائب الرئيس المكلف بالمالية وعضوية،

اجتمعت لجنة المالية والعضوية بتاريخ 22 مارس 2011 وقدمت تقريرا عن أعمالها إلى اللجنة التنفيذية بتاريخ 25 منه. وبعد النظر في بعض ما يهم قضايا العضوية ومنها مسألة التمييز بين مقدار المبلغ المستوجب للعضوية العاملة للبلدان من الأصناف ألف،باء، وجيم ومشكلة تصاعد عدد الأعضاء من الصنفين الأخيرين، تشكلت لجنة فرعية للعضوية وكلفت بتقديم تقرير يتضمن توصيات إلى اجتماع اللجنة التنفيذية القادم المقرر لسنة 2012.

ومثلما فعلت ل ات ج و، صادقت لجنة المالية والعضوية على ترشيحات العضوية الجماعية النظامية. وعلى اعتبار قرب مواعدي انعقادها، تمت مناقشة عقود وميزانيات المؤتمرين الهامين القادمين، منتدى بوينس آيروس لسنة 2012 ومؤتمر يوكوهاما الدولي لسنة 2014. وتقرر أن تُجمع مذكرات من الهبات الممنوحة لفائدة الجمعية الدولية لدى انطلاق العضوية فيها أو تجديدها. وتمت مراجعة الميزانية التقديرية لسنة 2011 على ضوء ما تقدمت به الجمعيات الوطنية ولجان البحوث من ترشيحات للحصول على منح وكذا طلب الرئيس إسناده منحة لفائدة نشرية **حوار كوني** ومطالب لجنة المنشورات.

وفي الأخير، تم الانتهاء من ملخص الميزانية 2010 التي يمكن كشفها لاي عضو حسب الطلب.

مواضيع أخرى: ناقشنا تقارير ممثلينا في الأمم المتحدة (جين فريتز، روزماري برباريت ورودولف ريشتر) وفي المعهد الدولي لعلم اجتماع القانون (رامون فليتشا وبنيامين تيجيرينا) وشبكة التنمية الكونية (إيما بوريو). كما استمعنا إلى ما تقدمت به تينا إيبس حول التقدم المحرز في ما يهم تنظيم المخبر القادم لطلبة الدكتوراه في جوهانسبرغ. كما حررنا رسالة تضامن إلى علماء الاجتماع اليابانيين معيدين التأكيد على التزامنا بمؤتمر يوكوهاما لسنة 2014. واختتمنا بكلمة امتنان في حق من غمرنا بكرم الضيافة وفي حق فريق الجمعية الدولية الذي لا يكل وكتابته لما وفروه من التسهيلات لعقد اجتماعات معقدة التحضير. وبفضل ذلك تتقدم الجمعية بأعضاء وبأنشطة أكثر عددا.

بلا حدود

جوديث بلو (Judith Blau)، جامعة نورث كارولينا، رئيس فرع الولايات المتحدة في علماء ادماع
بلا حدود وألبرتو مونكادا (Alberto Moncada) رئيس علماء بلا حدود



(في الولايات المتحدة بفضل علماء اجتماع مناصرون للمرأة في المجتمع) والأفاق الأفروأمريكية (في الولايات المتحدة بفضل جمعية علماء الاجتماع السود). ولا يزال أعضاء القسم الماركسي في الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع يحتفون بمكانتهم كاملة في السياق الأكثر شمولية. ليست الأقسام الأكثر جدة في الجمعية الأمريكية، بدهة، محايدة: الشيخوخة ومسارات الحياة، الغيرية، الأخلاق والتضامن الاجتماعي، الأطفال والشباب، العجز والمجتمع، التربية (من بين مواضيع أخرى). من العسير أن نتصور أن من يبحثون في شأن الأطفال لا يكثرثون لحالهم، بل يمكن أن يكون عدد من هؤلاء الباحثين مدافعين عنهم. بصيغة أخرى لقد اكتسح علم الاجتماع العمومي الاختصاص في الولايات المتحدة.

ما الدور الذي يضطلع به قسم الولايات المتحدة من ع ا ج ب ج في علم الاجتماع الأمريكي؟ لنا أولا قائمة خدمات واسعة ومناقشات ذات انتشار كوني (<http://ssfthinktank.org/>). ونحن ممثلون ثانيا ضمن تحالف حقوق الإنسان التابع للمنظمة الأمريكية من أجل تقدم العلم وهو

ما لا يمكن لقسم في الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع أن يحققه. ونحن نشارك، ثالثا، في المنتدى الاجتماعي العالمي وهو ما لا يمكن لقسم في الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع أن يحققه

ما لا يمكن لقسم في الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع أن يحققه. ونحن نشارك، ثالثا، في المنتدى الاجتماعي العالمي وهو ما لا يمكن لقسم في

كانت أطباء بلا حدود من دون شك في الصف الأمامي من حركة "بلا حدود" التي تسارعت خطاها بالتوازي مع العولمة. ليست القائمة التالية شاملة ولكنها دالة على امتداد الحركة: معماريون بلا حدود، مخرجون بلا حدود، مهندسون بلا حدود، فلاحون بلا حدود، نُسّاك بلا حدود، موسيقى بلا حدود، كرة قدم بلا حدود، مدرسون بلا حدود.

علماء اجتماع بلا حدود (= ع ا ج ب ح Sociólogos sin frontera (SSF)) جزء من هذا الامتداد الواسع للحركة. فبعد أن تأسست في إسبانيا سنة 2002، امتدت إلى بلدان أخرى مثل البرازيل والشيلى وإيران وإيطاليا وماليزيا وبورتو ريكو والولايات المتحدة. ومثلها مثل العديد من حركات "بلا حدود" تؤكد القوانين الواضحة لمهمتها على المساواة وعلى المسؤولية الكونية المشتركة بين الناس تجاه بعضهم بعضا، كما تُعلي من شأن حقوق الإنسان والديمقراطية التشاركية والاقتصاديات العادلة واستدامة الأنظمة الاقتصادية. وتقف ع ا د ب ح موقفا نقديا من الامبريالية والنيوليبرالية. لقيت الدعوة إلى الانعطاف نحو "علم اجتماع عمومي" التي أطلقها مايكل بورواوي ترحيبا خاصا لدى أعضاء ع ا ج ب ح.

يتجه علم الاجتماع ببطء، وهو ما يمكن تفهمه، نحو التغيير. لم يكن يثار منذ عقود إلا القليل من التساؤل الناقد تجاه الفرضيات الوضعية والعقلانية المؤسسة للعلم التي هيمنت على الأقسام في الجامعات وعلى هياكل البحث في الولايات المتحدة على أقل تقدير. أخذ ذلك في التغيير خلال السبعينات متوازيا مع الأفاق النسوية

الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع أن يحققه. وقد صادق مجلس الجمعية الأمريكية على اثنين من قراراتنا: بيان حول حقوق الإنسان وآخر يهدف إلى حماية حقوق علماء الاجتماع المهدة في أرجاء عدة من العالم. لنا مجلتنا الخاصة: <http://societieswithoutborders.org/> وهي،

انسجاما مع فلسفتنا، ذات نفاذ حر. يوفر لنا تحررنا من الارتباط بالجمعية الأمريكية واستقلاليتنا عنها، فيما نحافظ على صداقتنا، إيجابيات كثيرة ويتوافق مع ما تتبناه من فلسفة "بلا حدود". بإمكاننا أن نتخذ مواقف لا تتسجم مع تلك التي يتبناها العديد من علماء الاجتماع. أنتبنى التدفق الحر للمال والموارد لفائدة الجنوب؟ بالتأكيد. أندافع عن ضرورة نهاية الإمبريالية والهيمنة؟ يمكن الوثوق من ذلك. أندافع عن ضرورة إنهاء الخصومات؟ بكل تأكيد. أنتبنى حرية تدفق الأشخاص؟ حرية الهجرة دونما اعتبار للحدود؟ تماما.

محررون إقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي، منير السعيداني، **البرازيل:** غوستافو تانيغوتي، جوليانا تونشي، بيدرو مانسيني، فايو سيلفا تسونودا، ديمتري سيربوتسيني فرننداز، أندريزا غاللي. **الهند:** إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي جين، أودي شينغ. **اليابان:** ماري شيبا، يوشيا شيوتاني، كوسوكي هيمنيو، توموهيرو تاكامي، ناناكو هايامي، ياتاكا إيواتا، كازوهيرو إيكيدا. **إسبانيا:** جيزيلا ريدوندو. **تاوان:** جين ماو هو.

هيئة التحرير:

رئيس التحرير: مايكل بورواوي. **مساعدو التحرير:** لولا بوسوتيل، أوغست باغا، جونوفيا هيد غوردون. **محررون:** ماغرات أبراهام، تينا إيبس، راکال سوزا، جينيفر بلات، روبر فان كريكن. **مستشارو تحرير:** إيزابيلا بارلينسكا، لويس شوفال، جيلاك سوندوغلو، توم ديبور، يان فريتز، ساري حنفي، جام جيمينيز، حبيب الخندكر، سيمون ماباديمينغ، إيشوار مودي، نيكيتا بوكروفسكي، إيفا بورويو، يوشيميشي ساتو، فينيتا سنها، بنيامين تيجرينا، شين شون يي، إيلينا زراديسلومافا.

الاحتفال بالعيد العشرين للجمعية التركية لعلم الاجتماع

بقلم بيرسن غوكشي ، رئيس الجمعية التركية لعلم الاجتماع



18

تأسست الجمعية التركية لعلم الاجتماع سنة 1990 في أنقرة. ولدى تأسيسها كانت تجمع أربعين عضوا فيما تعد اليوم 600 من الأعضاء. سنة 1999 أسندت لها صفة الجمعية ذات المصلحة العامة تنفيذاً لأمر صادر عن مجلس الوزراء. ومن غير أن تكون لها فروع، أمكن لهذه الجمعية منذ ولادتها قبل عشرين سنة أن تفوز بالاعتراف والصيت على المستوى الوطني بفضل مؤتمراتها العلمية وبحوثها. ونحن الآن جمعية مطلوبة الخدمات بكثافة.

أشرفت الجمعية على 22 مشروع بحث، وما يقارب العشرين مؤتمراً وعلى إصدار 22 كتاباً وعدداً كبيراً من اللقاءات مع المنظمات غير الحكومية. فضلاً عن ذلك، نشرنا منذ 1998، ما مجموعه 130 مقالا علمياً بالتركية و الإنكليزية على صفحات مجلتنا المحكمة **مجلة الأبحاث العلمية الاجتماعية**، بما فيها 10 ترجمات و 8 مشاريع بحث.

وزيادة على دفع البحث، تسعى الجمعية إلى نشر المعرفة التي تنتجها ومن ثمّ تتمين خبرتها في علاقاتها بجماعات أوسع. وتتعاون الجمعية مع منظمات تطوعية ومؤسسات وجمعيات وتنخرط في التخطيط للأنشطة المتصلة بالجماعة العلمية. بل إنها، فضلاً عن ذلك، تتعاون مع منظمات عالمية ودولية من أجل جلب مشاريع البحوث. وفي هذا السياق التزمت الجمعية بمشاريع وطنية بدعم من وزارة العائلة والبحث الاجتماعي والوزارة المكلفة بإدارة التنمية الجهوية لمنطقة الأناضول الجنوبية الشرقية ووزارة الصحة. كما تتابع مشاريع على المستويين الوطني والدولي يدعمها في ذلك مجلس تركيا للبحث العلمي والتكنولوجي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والاتحاد الأوروبي وحلف الناتو والبنك الدولي.

يتمثل النشاط الأهم ضمن عمل الجمعية في تنظيم المؤتمر الوطني، وقد انتظمت إلى حد الآن ست (دورات) منه. ويعتبر التعاون اللصيق بينها وبين أقسام علم الاجتماع في جامعات الأناضول السمة الأهم فيها وهو تعاون ينظم من خلال ما يتم من أبحاث علمية اجتماعية تعتنى بتضايا تركيا الاجتماعية والاقتصادية. وتوفر المؤتمرات أرضية لتبادل الأفكار ووجهات النظر والمعرفة بين كبار الأساتذة و الكليات الأصغر عمراً وفيما بين الزملاء من مختلف جهات البلاد وزملائهم من الاختصاصات المجاورة.

اعتنى المؤتمر الأول بمسألة "التطورات الجارية في علم الاجتماع" وانتظم في جامعة إيج في إزمير سنة 1993 بعد ثلاث سنوات من تأسيس الجمعية. وكان الثاني حول "الهجرة" وانتظم سنة 1996 في جامعة مرسين، أما الثالث الذي كان حول "التحديات الجديدة التي تواجه علم الاجتماع في تركيا وفي العالم" فقد أكد على مسائل الاغتراب والنزاعات والاندماج. وقد انتظم في جامعة أنادولو في إسكيشهير سنة 2000، فيما كان المؤتمر الرابع حلو " العالم المتحول واللامساواة" وانتظم في جامعة كومحريات في سيفاس سنة 2003. وكان المؤتمر الخامس حول " القضايا الاجتماعية الراهنة في تركيا" وانتظم في جامعة إينونو بمالاتيا سنة 2006، فيما كان المؤتمر الأخير في جامعة عدنان ميندراس حول "التحولات الاجتماعية والمقاربات السوسيوولوجية".

في البداية، وعلى اعتبار تدريس علم الاجتماع ضمن أقسام الفلسفة، تم تبني النظريات الغربية من دون نقد وأهمل البحث بحيث لم يفهم الشباب الاختصاص كما كان يجب أن يفهم وكانوا يشعرون بنوع من الغربة تجاهه. تطورت الوضعية اليوم بحيث صار (علم الاجتماع) يُرى على أنه يدرس المشاكل الاجتماعية مستخدماً مناهج علمية في البحث. وبالفعل، لعلم الاجتماع اليوم القدرة على أن يكون الاختصاص المظلة الذي تُستخدم مناهجه في كل العلوم الاجتماعية. ولكن، اختصاصات ذات البحث. وبالفعل، لعلم الاجتماع اليوم القدرة على أن يكون الاختصاص المظلة الذي

تُستخدم مناهجه في كل العلوم الاجتماعية. ولكن، اختصاصات ذات صلة مثل الاقتصاد والقانون وعلم النفس، لا تزال للأسف، تهمل الأبعاد الاجتماعية أو تعزلها لدى دراستها لتركيا. يستعمل اليوم الجمهور الأوسع كلمة علم اجتماع كما لو كانت ذات طابع سحري، ويحاول الصحفيون وكتاب الأعمدة والسياسيون وكل من رام أن يقدم تفسيراً للطواهر الاجتماعية أن يبدو كما لو كان عالم اجتماع. وعلى ذلك وجب التأكيد على أن الواحد منا لا يتعلم علم الاجتماع لمجرد عيشه في المجتمع أو ضمن عائلة. وليس من المستغرب أن تلاقى من الجامعيين من يقول لك: "أنا ولدت في قرية أو عشت في قرية، وإذًا بإمكانني أن أدرس علم الاجتماع الريفي!".

إن هدفنا هو مساعدة الشباب ذوي الخلفية العلمية الاجتماعية على الاشتغال في المجال العمومي ونقل تفكيرهم العلمي الاجتماعي إلى المجتمع. وبضطلع خريجو علم الاجتماع المتمتعون بالفهم المتخصص بذلك الدور المهم المتمثل في صياغة تقارير تستند إلى أعمال بحثية وصنع توصيات تستند ما يضعه صناع القرار العموميين من سياسات.

وطوال حقبة اعتماد مخططات التنمية الخماسية، اعتُبر خريجو علم الاجتماع ذوي أهمية وكانوا يُستخدمون في وزارات مختلفة. ولكن، وبسبب التغييرات التي أدخلت على قانون التشغيل سنة 1980، خسر الخريجون الكثير من فرص التشغيل في القطاع العمومي هذه. ومنذ بدايات نشاطها كافتحت جمعيتنا من أجل قلب هذه التغييرات. وحتى اليوم لم يكن يمكن لخريجي علم الاجتماع الجامعيين الاشتغال في ستة من المؤسسات العمومية، وعلى أثر سيروة سياسية طويلة، أمضى مجلس الوزراء منذ شهر أمراً جديداً يسمح من جديد لخريجي علم الاجتماع بأن يشتغلوا في دواوين مختلفة.

ليس عامنا العشرين إلا بداية إذ لا يزال الكثير من الأعمال مطلوباً من أجل تحقيق ما نصبو إليه، وعلى ذلك فنحن نحتاج إلى دم جديد. وفي الأخير أريد أن أشدد على أننا لا نزال في حاجة إلى تجاوز الكثير من العقبات على طريق قبول المجتمع الواسع ومؤسساته بعلم الاجتماع.

أود أن أشرككم مجدداً على انضمامكم إلينا اليوم وأرجو لجمعيتنا عيد ميلاد عشرينياً سعيداً

جمعيات علم الاجتماع الوطنية في أوروبا

روبارتو كابراني (Roberto Cipriani)، رئيس مجلس الجمعيات الوطنية بالجمعية الأوروبية لعلم

يتكون العمود الفقري للجمعية أ ع اج من مُكوّنين: شبكات البحث والجمعيات الوطنية. وحسب القانون الأساسي تضطلع الجمعيات الوطنية بدور مهم حيث تقترح مرشحين لانتخابات اللجنة التنفيذية للجمعية أ ع اج ولمنصب الرئيس.

وفي ما يلي تقرير موجز عن خصوصيات كل جمعية وطنية مؤجلين إلى وقت لاحق المواضيع الرئيسية التي نوقشت والتي تشتمل على مسار بولونيا وتدهور أوضاع العلوم الاجتماعية في أغلب البلدان الأوروبية.

شارك ممثلو واحد وعشرين جمعية علم اجتماع في الاجتماع الذي نظّمته الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع (ج أ ع اج) في باريس في الثامن والعشرين من أكتوبر سنة 2010. وقد حضرت الاجتماع أناليا توريس رئيسة ج أ ع اج وكليير والاس رئيستها السابقة وأعضاء من اللجنة التنفيذية للجمعية. وقد كان ضيفنا المميز هو جون ميشال باير مدير البحث في العلم والاقتصاد والمجتمع في اللجنة الأوروبية ورفقة ويهوزن من المؤسسة العلمية الأوروبية.

+ ينتظم في الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع 2500 عضو وهي توفر بنية تحتية تُيسّر البحث الجماعي. وفي الحقيقة فقد اكتسبوا صبغة محترفة خلال السنوات الأخيرة وابتدوا نشطين في ترقية البحث في أوروبا.

+ تضطلع الجمعية النرويجية لعلم الاجتماع بدور رئيس في الربط بين المشتغلين عبر شبكات متعددة.

+ تأسست الجمعية التركية سنة 1990 وهي تعد 600 عضواً. ومنذ ترشحت تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبي صار علماء الاجتماع الأتراك أكثر تركيزاً على علم الاجتماع الغربي.

+ في رومانيا علم اجتماع مناضل يسعى إلى تجويد النماء الاجتماعي موجهاً نحو مبادرات سياسية متعددة. وفي الآن نفسه يلاحظ التركيز على البحث في المسائل الميكرو-اجتماعية على حساب المسائل ذات الطابع الشمولي. نتيجة ذلك هي وجود علم اجتماع معزول. وقد تناقص عدد معاهد البحث ولكن تنشر حالياً مجلة إلكترونية.

+ الجمعية الفرنسية لعلم الاجتماع فتية جداً حيث لم تؤسس إلا سنة 2002 ولكنها تعد 1000 عضواً و40 شبكة بحث مختلفة.

+ تعد الجمعية البرتغالية 2600 عضواً وهي جمعية علمية ومهنية في نفس الوقت. وهم يجتهدون في الجمع بين مدرسين وباحثين بل والعالمين في المؤسسات أيضاً.

+ تأسست الجمعية الفنلندية سنة 1954 وأطلقت مجلتها سنة 1965.

+ تعد الجمعية السويسرية 550 عضواً أي نفس العدد طوال عشرين سنة تقريباً. لهم 12 لجنة بحث تنظم مؤتمرات دورية بين كل دورتين من دورات ج أ ع اج. هي جمعية متعددة اللغات ومؤتمراتها ثلاثية اللغة (فرنسية، ألمانية و إنجليزية)، وهم ينشرون مجلة ثلاثية اللغة أيضاً.

+ تغيرت القوانين الأساسية المنظمة لعمل الجمعية المجرية لعلم الاجتماع منذ فترة وجيزة وبمستطاعهم حالياً أن يطلقوا مشاريع بحث لحسابهم الخاص. ينظمون مؤتمرات سنوية.

+ عدد غير من علماء الاجتماع في النمسا وليدو مسارات صنعت في الميدان "محلياً" بحيث يلاحظ نوع من فقدان الهوية. وقد أدى مسار بولونيا إلى التشرذم ذلك أن شهادات الإجازة والماجستير تختلف اختلافاً كبيراً تبعاً للمحتويات.

+ ترتبط الفيدرالية الإسبانية لعلم الاجتماع بالجماعات الإقليمية ذات الاستقلال الذاتي. تسجل العديد من الأنشطة في هذه المناطق كما تصدر العديد من الصحف. وتنظم الجمعية اجتماعات كما تنشر مجلتها الخاصة.

+ نصف أعضاء الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع ونصف الحاصلين على الدكتوراه لا يشتغلون ضمن أقسام علم الاجتماع. غيرت الحكومة البريطانية منذ فترة وجيزة سياسات التمويل التي تتبعها وانتظمت العديد من المظاهرات الجماهيرية (المنددة). وتشهد الدراسات ارتفاعاً هائلاً في التكاليف.

+ تمر الجامعات الإيطالية بأزمة مزدوجة تنظيمية ومالية. ولئن كان من العسير تقييم آثار القضايا التنظيمية فإن الأزمة المالية تعتبر خانقة بالنسبة إلى الأجراء.

+ علم الاجتماع في بولونيا ذو صيت متميز. وقد بنيت هويته طوال الحقبة الشيوعية. يلاحظ تجاوز عدد ترشحات التسجيل في الماجستير لعددها في الإجازة وهو ما يعني أن العديد من الترشحات تأتي من اختصاصات أخرى غير حاصلة إلا على القليل من المعارف السوسولوجية.

+ تعد الجمعية الـVojvodinian لعلم الاجتماع جمعية غير ربحية وغير سياسية. وتخطط مشاريع البحث لديها في المشاكل المادية والانقسامات ما بين الثقافية. توجد 25 مجموعة إثنية.

+ في الدانمارك الأجور حسنة في كل الميادين وهو ما يتسبب في هجرة عقول من المجال الأكاديمي. وعلاوة على ذلك تتميز المقاييس الأكاديمية بالكثير من الصرامة بحيث يعسر على الطلبة الالتحاق بالجامعات الدانماركية.

+ الجمعية المقدونية صغيرة. وهي جمعية أكاديمية لصيقة الارتباط بالجامعات الرئيسة ولكن الاهتمامات المهنية لا تغيب عنها هي أيضاً.

+ يعد المعهد الألباني لعلم الاجتماع 130 من الأعضاء وهو ينظم مؤتمرات وطنية عديدة كل عام.

+ توجد في روسيا ثلاث جمعيات علم اجتماع تتمركز كلها في موسكو. ويتمتع علم الاجتماع ببعض الصيت البراق. لعلماء الاجتماع علاقات وطيدة على الغالب بصناع السياسات.

+ تأسس علم الاجتماع في إسرائيل سنة 1948، والجمعية اليوم تعد كبيرة بعض الشيء. ينظمون مؤتمراً كل سنة بحضور ما يناهز الألف مشارك.

تلك هي حال جمعيات علم الاجتماع الوطنية في أوروبا.

مُدانٌ لكونه عالم اجتماع بقلم فريدريك نايرت (Frédéric Neyrat)، جامعة ليموج



20

جرت وقائع الحالة الثانية في المجر حيث أطلق تجدد القومية حملة كراهية ومعاداة للسامية تجاه أنيس هيللر ومجموعتها (أربع فلاسفة آخرين) متهمه إياها بالتأثير في الإعلام المجرى بما تبحث فيه من منظور "كوسموبوليتاني". تدرت أنيس هيللر (Heller) الفيلسوفة وعالمة الاجتماع على أيدي جورج لوكاتش. درّست في العديد من البلدان بما فيها الولايات المتحدة حيث تقلدت في السبعينات منصب كرسي حنا أرنت في النيو سكول بعد أن تمكنت من الإفلات من ملاحقات النظام الشيوعي. ومنذ بداية العام الحالي اتهمت بمعية اثنين من زملائها بإهدار مبلغ مليوني يورو ثمنا لنصوص "غامضة وغير صالحة". تهدف هذه الاتهامات غير المعتمدة على أسانيد موثقة إلى تشويه سمعتها بالتأكيد على أنها ألحقت بموطنها العار. والحقيقة أن المقصود بالتهمة ليس غير التزامها السياسي. فمثلها مثل غيرها من المثقفين وقفت في وجه القانون المجرى الجديد الذي يكبل حرية الصحافة وفضحت انزلاق إدارة فيكتور أوربان نحو التسلط .

لئن وقع بعض علماء الاجتماع ضحايا لمثل هذه الممارسات فذلك لأن السلطات ترى في علم الاجتماع تهديدا لها. فهو يعالج مواضيع تود بعض الدول لو تنساها مرة وإلى الأبد وهو يحقق في ما يتحدى صدق الشعارات الرسمية المرفوعة. ويهاجم علماء الاجتماع كذلك يوصفهم مثقفين حتي عندما يتبعون الإتيقا العلمية الفيبيرية. والحقيقة أن التزامهم العلمي هو بالضبط ما يجعلهم عرضة لمحاولات الحط من قدرهم.

قد يسمح المرء لنفسه بالاعتقاد أن علم الاجتماع اختصاص له من الرسوخ ما لا يفرض عليه إلا رفع التحديات العلمية. ولكن ذلك لم يمنع انعقاد منتدى في ليموج خصصت أعماله للنظر في العراقيل السياسية التي تعترض بحوث العلم الاجتماعي. لقد أمّتهن البحث العلمي الاجتماعي بصفة خاصة وبطريقة عنيفة من قبل العديد من المناظر غير العلمية في الأوساط السياسية والإعلامية و القانونية.

تشهد حالتان على ما يمكن أن يكون علماء الاجتماع عرضة له من سوء معاملة؛ الأكثر دلالة منهما هي حالة بينار سيليك (Pinar Selek). فمذ سنة 1998 اتهمت مرارا بكونها اقترفت هجوما بقبلة على متجر بهارات في إسطنبول. لقد أثبتت تقارير كل الخبراء أن الانفجار نجم عن تسرب للغاز ولم تضع المحاكم اليد على ما يدين بينار وذلك حتى آخر قراراتها الصادرة في شباط/فيفري 2011. ولكن كل الأحكام استأنفت بما في ذلك آخر ما صدر منها. والحقيقة ان بينار سيليك مدانة لكونها تصرف بوصفها عالمة اجتماع، وكونها أجرت تحقيقا كسر تابو المسألة الكردية. لقد استجوبت مناضلي حزب العمال الكردستاني ورفضت أن تدلي بأسمائهم إلى الشرطة وهو ما أدى إلى إيقافها وتعذيبها. وفي منظور بعض حلقات الدولة والشرطة في تركيا يعتبر التعاطي مع الأساطير أو المسائل الوطنية التي يروجها الخطاب الرسمي حول القشتين الكردية أو الأرمنية أمرا محرما.